

أَدَبُ طَالِبِ الْعِلْمِ

تَأَلَّفَ

د. عبد المجيد بن محمد الفستحي

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

أَدَبُ طَالِبِ الْعِلْمِ

ح) عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

آداب طالب العلم. / عبد المحسن بن محمد القاسم - ط ١.

- المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

٩٦ ص؛ ١٧ x ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-١٠٨٠-٤

١- الإسلام والعلم أ. العنوان

ديوي ٢١٩,٧ ١٤٤٣/٩٢٣٣

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٩٢٣٣

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-١٠٨٠-٤

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

أَرْطَابُ الْعِلْمِ

تَأَلَّفَ

د. عَبْدُ الْمُجِيبِ مُحَمَّدٍ الْفَيْهِي

إِمَامٌ وَخَطِيبٌ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

يمكن الاطلاع وتحميل جميع مؤلفات فضيلة الشيخ على الرابط:
a-alqasim.com/books/



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ تعلِيمَ العِلْمِ مِنْ مُهِمَّاتِ الرُّسُلِ، قَالَ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وَجَعَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ قُدْوَةً لِّغَيْرِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى
اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، وَأَمَرَنَا بِالتَّأْسِي بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَانَ
لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، قَالَ ابْنُ
كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلُ كَبِيرٌ فِي التَّأْسِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي
أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ»^(١).

وَكَانَ السَّلَفُ يَفْرُقُونَ تَعَلُّمَ الْآدَابِ بِالْعِلْمِ، قَالَ ابْنُ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ:
«كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْهَدْيَ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣٩١).

(٢) الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السَّامع (١/٧٩).

وَطَالِبُ الْعِلْمِ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ بِالتَّأْسِي بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَالتَّحَلِّي بِأَخْلَاقِهِ
وَشَمَائِلِهِ أَدْعَى لِقَبُولِ دَعْوَتِهِ عِنْدَ النَّاسِ، فَتَأْثِيرُهُ عَلَى الْآخِرِينَ بِأَدَبِهِ
وَسَمْتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَفَضَائِلِهِ شَطْرَ مَا يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِ.

وَلِأَهَمِّيَّةِ تَذْكِيرِ طَالِبِ الْعِلْمِ بِحِلْيَةِ الْعِلْمِ وَزِينَتِهِ جَمَعْتُ آدَاباً لَا غِنَى
لَهُ عَنْهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَسَمَّيْتُهُ: «آدَابُ طَالِبِ الْعِلْمِ».

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

د. عبد المحسن محمد الفوزان
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

فَرَعْتُ مِنْهُ يَوْمَ عِيدِ الْأَصْحَى
عَامَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَاثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ

خُطَّةُ الْكِتَابِ

قَسَمْتُ الْكِتَابَ إِلَى فَصْلَيْنِ، وَتَحْتَ كُلِّ فَصْلٍ مَبَاحِثٌ، وَهِيَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: أَهَمِّيَّةُ الْعِلْمِ وَفَضْلُهُ؛ وَفِيهِ مَبَحَثَانِ:

الْمَبَحَثُ الْأَوَّلُ: أَهَمِّيَّةُ الْعِلْمِ.

الْمَبَحَثُ الثَّانِي: فَضْلُ الْعِلْمِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي: آدَابُ طَالِبِ الْعِلْمِ؛ وَفِيهِ تِسْعَةُ مَبَاحِثَ:

الْمَبَحَثُ الْأَوَّلُ؛ وَفِيهِ:

١. الإِخْلَاصُ.

٢. الْخَوْفُ مِنَ الرَّيَاءِ.

٣. اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ.

الْمَبَحَثُ الثَّانِي؛ وَفِيهِ:

١. الدُّعَاءُ.

٢. نَوَافِلُ الْعِبَادَاتِ.

٣. قِيَامُ اللَّيْلِ.

٤. ذِكْرُ اللَّهِ.

٥. التَّوْبَةُ.

٦. الِاسْتِغْفَارُ.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ ؛ وَفِيهِ :

١. بِرُّ الْوَالِدَيْنِ.

٢. صَلََةُ الرَّحِمِ.

٣. قَضَاءُ حَاجَاتِ النَّاسِ.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ ؛ وَفِيهِ :

١. حُسْنُ الْخُلُقِ.

٢. الصَّدَقُ.

٣. سَلَامَةُ الصَّدْرِ.

الْمَبْحَثُ الْخَامِسُ ؛ وَفِيهِ :

١. الْحِرْصُ عَلَى الْوَقْتِ.

٢. الصَّبْرُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ.

٣. الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ.

الْمَبْحَثُ السَّادِسُ ؛ وَفِيهِ :

١. حُضُورُ دُرُوسِ الْعُلَمَاءِ.

٢. الْإِكْتِثَارُ مِنَ الشُّيُوخِ.

٣. اخْتِرَامُ الْعُلَمَاءِ.

٤. اخْتِرَامُ الْأَقْرَانِ.

الْمَبْحَثُ السَّابِعُ ؛ وَفِيهِ :

١. الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ.

٢. الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ.

الْمَبْحَثُ الثَّامِنُ ؛ وَفِيهِ :

١. تَعْلِيمُ النَّاسِ الْعِلْمَ.

٢. الْإِنْتِفَاعُ بِالْوَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ.

الْمَبْحَثُ التَّاسِعُ ؛ وَفِيهِ :

١. الْحَذَرُ مِنَ الْفِتَنِ.

٢. الْبُعْدُ عَنِ الْمَعَاصِي.



الفصل الأول أهمية العلم وفضله

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أهمية العلم.

المبحث الثاني: فضل العلم.

أَهْمِيَّةُ الْعِلْمِ

عُني الإسلامُ بِالْعِلْمِ أَبْلَغَ عنايةٍ وَأَتَمَّهَا؛ دعوةً إليه، وترغيباً فيه، وتعظيماً لقدره، وتنويهاً بأهله، وبياناً لآدابه، فهو أهمُّ المَهَمَّاتِ؛ ومن دلائل أهمِّيَّته ما يلي:

١ - أوَّلُ آيَةٍ أنزلتْ على هذه الأُمَّة في الحثِّ على العلم، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

٢ - هدايةُ الخلقِ وسعادَتُهُم بِالْعِلْمِ، وحاجَتُهُم إليه أشدُّ من حاجَتِهِم إلى المأكَلِ والمشربِ، قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ: «النَّاسُ إلى العلمِ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إلى الطَّعامِ والشَّرَابِ؛ لأنَّ الرَّجُلَ يَحْتَاجُ إلى الطَّعامِ والشَّرَابِ في اليومِ مرَّةً أو مرَّتَيْنِ، وحاجَتُهُ إلى العلمِ بعددِ أنفاسِهِ»^(١).

٣ - تعليمُ العلمِ من مَهَمَّاتِ الرُّسُلِ إلى أقوامِهِم، قال سبحانه عن إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقال تعالى عن نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ

رَسُولُهُ، بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾،
فَالْهُدَى: هو العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح.

٤ - العلمُ سابقُ العمل ودليلُهُ، فلا تصحُّ الأعمالُ ولا تُقبَلُ إلا
بالعلم، قال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

٥ - العلمُ الَّذي أثنى اللهُ عليه هو العلمُ الشرعيُّ، وما سواه
وسيلةٌ إليه؛ كعلم النحو، أو مُعِينٌ عليه؛ كالعلوم الدنيويَّة، قال ابن
رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «أَفْضَلُ الْعِلْمِ: الْعِلْمُ بِاللَّهِ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ
وَأَفْعَالِهِ، الَّتِي تُوجِبُ لِمُصَاحِبِهَا مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَخَشْيَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَهَيْبَتَهُ
وَإِجْلَالَهُ وَعَظَمَتَهُ، وَالتَّبَتُّلَ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَالرِّضَا عَنْهُ، وَالِاشْتِغَالَ
بِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ الْعِلْمُ بِمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ، وَالْعِلْمُ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ وَشَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَمَا يَحِبُّهُ
مِنْ عِبَادِهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمَا يَكْرَهُهُ مِنْ عِبَادِهِ
مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمَنْ جَمَعَ هَذِهِ الْعُلُومَ فَهُوَ مِنْ
الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ - الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ، الْعُلَمَاءُ بِأَمْرِ اللَّهِ -» (١).

٦ - لِأَهَمِّيَّةِ الْعِلْمِ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهٖ ﷺ بِالتَّزَوُّدِ مِنْهُ؛ فَقَالَ ﷺ: ﴿وَقُلْ
رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

ونصيحةُ العلماء هي: التَّزَوُّدُ مِنَ الْعِلْمِ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ:

(١) مجموع رسائل ابن رجب (١/٤١).

«وما أزال أحرّضُ النَّاسَ على العِلْمِ؛ لأنَّه النُّورُ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ»^(١).

وقال ابن حجر رحمته الله: «وقوله رحمته الله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ واضح الدلالة في فضل العِلْمِ؛ لأنَّ الله تعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيءٍ إلا من العِلْمِ، والمراد بالعِلْمِ: العِلْمُ الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه»^(٢).

٧ - إذا ظهر العلمُ في بلدٍ كثر فيه الخير، قال ابن القيم رحمته الله: «فما خرابُ العالمِ إلَّا بالجهل، ولا عمارتُهُ إلَّا بالعِلْمِ، وإذا ظهر العِلْمُ في بلدٍ أو محلَّةٍ قلَّ الشرُّ في أهلها، وإذا خفي العِلْمُ هناك ظهر الشرُّ والفسادُ، ومن لم يعرف هذا فهو ممن لم يجعل الله له نوراً»^(٣).



(١) أحكام النساء (ص ٢٢).

(٢) فتح الباري (١/ ١٤١).

(٣) إعلام الموقعين (٣/ ٥٨٠).

فَضْلُ الْعِلْمِ

طلبُ العلم والاستزادة منه شرفٌ لا يُضاهى، وفضلٌ لا يُحدُّ؛
ومن دلائل فضله:

١ - طلبُ العلم عبادةٌ عظيمةٌ، قال الزُّهريُّ رحمته الله: «ما عبد الله بشيءٍ أفضل من العلم»^(١).

٢ - منزلةُ الخشية لا ينالها إلا العلماء، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

٣ - مَنْ أراد الله به خيراً ففقهه في الدين، قال الرسول صلوات الله عليه: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه^(٢)، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «وكلُّ مَنْ أراد الله به خيراً لا بدَّ أن يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، فمن لم يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ؛ لم يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا»^(٣)، وقال أيضاً رحمته الله: «لا يكون من أهل السَّعادةِ إِلَّا مَنْ فقهه في الدين»^(٤).

٤ - بالعلم رفعةُ الدرجاتِ في الحياة وبعد الممات، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، قال ابن القيم رحمته الله:

(١) حلية الأولياء (٣/٣٤٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/٨٠).

(٤) جامع المسائل (١/١٣٢).

«ولو لم يكن في العلم إلا القُرْب من ربِّ العالمين، والالتحاق بعالم الملائكة، وصحبته الملائ الأعلى؛ لكفى به فضلاً وشرفاً، فكيف وعزُّ الدُّنيا والآخرة منوط به، ومشروطٌ بحصوله؟!»^(١).

٥ - مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْعِلْمِ بِنِيَّةٍ صَافِيَةٍ وَجَدَ مَتْعَةً قَلْبِهِ فِيهِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا يَصْنَعُ أَعْدَائِي بِي؟ أَنَا جَنَّتِي وَبُسْتَانِي فِي صَدْرِي، إِنْ رُحْتُ فِيهِ مَعِيَ لَا تُفَارِقُنِي»^(٢).

٦ - الْعِلْمُ أَيْسَرُ طَرِيقٍ إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً؛ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ» رواه مسلم^(٣).

٧ - طَرِيقُ الْعِلْمِ سَهْلٌ يَسِيرٌ: حِفْظُ لِكِتَابِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَخْتَارَاتٍ مِنْ مَتُونِ أَهْلِ الْعِلْمِ، مَعَ فَهْمٍ مَا تَقَدَّمَ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَمَنْ زَادَ فِي طَلَبِهِ زَادَتْ رِفْعَتُهُ، وَبِهَذَا يَنَالُ الْمَرْءُ رِضَا اللَّهِ وَأَعَالِي الْجَنَانِ.

٨ - نَفْعُ الْعِلْمِ يَلْحَقُ صَاحِبَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» رواه مسلم^(٤).

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٠٤).

(٢) الوابل الصيب (ص ٤٨).

(٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٩ - أدرك السلف فضل العلم فأقبلوا عليه، قال ابن سيرين رحمته الله:
«أدركت بالكوفة أربعة آلاف شاب يطلبون العلم»^(١).



(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/١١٣).

الفصلُ الثاني

آدابُ طالبِ العلمِ

وفيه تسعةُ مباحثَ:

المبحثُ الأولُ: الإخلاصُ، الخوفُ مِنَ الرِّياءِ، اتِّباعُ النَّبِيِّ ﷺ.

المبحثُ الثاني: الدعاءُ، نوافِلُ العباداتِ، قيامُ اللَّيْلِ، ذِكْرُ اللَّهِ، التَّوْبَةُ، الاستِغْفَارُ.

المبحثُ الثالثُ: بِرُّ الوالِدَيْنِ، صَلََةُ الرَّحِمِ، قِضَاءُ حَاجَاتِ النَّاسِ.

المبحثُ الرَّابِعُ: حُسْنُ الخُلُقِ، الصَّدَقُ، سَلَامَةُ الصَّدْرِ.

المبحثُ الخامسُ: الحِرْصُ عَلَى الوَقْتِ، الصَّبْرُ فِي طَلَبِ العِلْمِ، الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ.

المبحثُ السَّادِسُ: حُضُورُ دُرُوسِ العُلَمَاءِ، الإِكْتِثَارُ مِنَ الشُّيُوخِ، اخْتِرَامُ العُلَمَاءِ، اخْتِرَامُ الأَقْرَانِ.

المبحثُ السَّابِعُ: العَمَلُ بِالعِلْمِ، القُدُوةُ الحَسَنَةُ.

المبحثُ الثَّامِنُ: تَعْلِيمُ النَّاسِ العِلْمَ، الإِنْتِفَاعُ بِالْوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ.

المبحثُ التَّاسِعُ: الحَذَرُ مِنَ الفِتَنِ، البُعْدُ عَنِ المَعَاصِي.

المَبْحَثُ الْأَوَّلُ

وَفِيهِ:

١. الإِخْلَاصُ.
٢. الْخَوْفُ مِنَ الرَّيَاءِ.
٣. اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ.

الإِخْلَاصُ

١ - أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِالْإِخْلَاصِ، فَقَالَ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾، وَأَمَرَهُ أَنْ يَبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَنَّ عِبَادَتَهُ لِلَّهِ قَائِمَةٌ عَلَى الْإِخْلَاصِ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾.

٢ - أَخْلَصَ النِّيَّةَ لِلَّهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ؛ بِأَنْ تَنْوِيَ رَفْعَ الْجَهْلِ عَنْ نَفْسِكَ، وَتَحْقِيقَ رِضَا اللَّهِ بِالْقِيَامِ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْجَلِيلَةِ، وَالسَّيْرِ عَلَى خُطَا الْأَنْبِيَاءِ فِي تَبْلِغِ الْعِلْمِ لِلنَّاسِ.

٣ - إِخْلَاصُ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ أَمْرٌ عَزِيزٌ، فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ عَلَى تَحْقِيقِهِ بِالدُّعَاءِ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَقَلَّ مَنْ يَعْمَلُ لِلَّهِ تَعَالَى خَالِصًا؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يُحِبُّونَ ظُهُورَ عِبَادَاتِهِمْ»^(١).

٤ - إِخْفَاءُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِلَامَةِ الْإِخْلَاصِ، فَكَلَّمَا اسْتَرَّ الْعَمَلُ مِمَّا يُشْرَعُ إِخْفَاؤُهُ؛ كَانَ أَرْجَى لِلْقَبُولِ، وَالْمُخْلِصُ الصَّادِقُ يُحِبُّ إِخْفَاءَ حَسَنَاتِهِ؛ كَمَا يُحِبُّ الْعَاصِي إِخْفَاءَ سَيِّئَاتِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظَلِّلُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - : «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» متفق عليه^(٢)، قَالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا

(١) صيد الخاطر (ص ٢٦٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم (٦٦٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تَعْمَلْ لِتُذَكَّرَ، اكْتُمِ الْحَسَنَةَ كَمَا تَكْتُمُ السَّيِّئَةَ»^(١).

٥ - احْتَقِرْ أَعْمَالَكَ الصَّالِحَةَ، وَخَفْ مِنْ عَدَمِ قَبُولِهَا، فَافَةِ الْعَبْدِ رِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْعَارِفُ مَنْ صَغُرَتْ حَسَنَاتُهُ فِي عَيْنِهِ، وَعَظُمَتْ ذُنُوبُهُ عِنْدَهُ، وَكَلَّمَا صَغُرَتْ الْحَسَنَاتُ فِي عَيْنِكَ كَبُرَتْ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَلَّمَا كَبُرَتْ وَعَظُمَتْ فِي قَلْبِكَ قَلَّتْ وَصَغُرَتْ عِنْدَ اللَّهِ»^(٢).

٦ - الْمُؤْمِنُ لَا يُغَيِّرُهُ ثَنَاءُ النَّاسِ وَلَا يَغْتَرُّ بِذَلِكَ، فَإِذَا فَعَلَ الطَّاعَةَ وَأَثْنُوا عَلَيْهِ خَيْرًا لَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ إِلَّا تَوَاضَعًا وَخَشْيَةً مِنَ اللَّهِ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَرُكُ النَّظَرِ إِلَى الْخَلْقِ، وَمَحْوُ الْجَاهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ بِالْعَمَلِ، وَإِخْلَاصُ الْقَصْدِ، وَسِتْرُ الْحَالِ؛ هُوَ الَّذِي رَفَعَ مَنْ رَفَعَ»^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٤٧٦).

(٢) مدارج السالكين (١/٢٧٦).

(٣) صيد الخاطر (ص ٢٦٤).

الخَوْفُ مِنَ الرِّيَاءِ

١ - مِنْ شَرْطِ قَبُولِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ سَلَامَتُهُ مِنَ الشَّرْكِ وَالرِّيَاءِ؛
لَمَنَافَاتِهِمَا التَّوْحِيدُ.

٢ - خَافَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ الرِّيَاءَ - مَعَ عِلْمِهِمْ وَفَضْلِهِمْ - ؛
فَغَيَّرَهُمْ أَوَّلَى بِالْخَوْفِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَرَجَ عَلَيْنَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا
هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟** قَالَ: قُلْنَا بَلَى، فَقَالَ:
**الشَّرْكَ الْخَفِيُّ؛ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّيَ، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ
رَجُلٍ**» رواه ابن ماجه^(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرِّيَاءُ أَخَوْفُ
عَلَى الصَّالِحِينَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ»^(٢).

أَمَّا الْأَعْمَالُ غَيْرُ الصَّالِحَةِ فَلَا رِيَاءَ فِيهَا؛ وَإِنَّمَا يَدْخُلُ فِيهَا
الشُّهُرَةُ، أَوْ الْعُجْبُ، أَوْ الْفَخْرُ، أَوْ الْكِبَرُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

(١) كتاب الزُّهْد، باب الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، رَقْم (٤٢٠٤).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص ٤٦١).

اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ

١ - في اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ سعادةُ الدُّنْيَا والآخرة، قال سبحانه: ﴿وَأِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «سعادةُ العبادِ في معاشِهِمْ ومَعَادِهِمْ باتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ»^(١).

٢ - أكملُ النَّاسُ توحيداً أكملُهُم اتِّبَاعاً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَمَنْ فَاتَهُ جزءٌ من الاتِّبَاعِ فَاتَهُ جزءٌ من التَّوْحِيدِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِلَّهِ استِجَابَ لغيرِ اللَّهِ وأذَلَّهُ المخلوق، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكَلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَتْبَعَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؛ كَانَ أعْظَمَ تَوْحِيداً لِلَّهِ وإِخْلَاصاً لَهُ فِي الدِّينِ، وَإِذَا بَعُدَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ؛ نَقَصَ مِنْ دِينِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ»^(٢).

٣ - كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَتَّبِعُونَ هَدْيَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ إِيْمَانٍ وَيَقِينٍ رَاسِخٍ، قَالَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعاً، وَطَوَاعِيَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا» رواه مسلم^(٣).

٤ - كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَقْتَدُونَ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ أُسُوءَ بِهِ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اصْطَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ يَلْبَسُهُ فَيَجْعَلُ فَصَّهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ، فَصَنَعَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ، ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَنَزَعَهُ،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٩٣/١٩).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٩٨/١٧).

(٣) كتاب البيوع، باب كراء الأرض بالطعام، رقم (١٥٤٨).

فَقَالَ: **إِنِّي كُنْتُ أَلْبَسُ هَذَا الْخَاتَمَ، وَأَجْعَلُ فَصَّهُ مِنْ دَاخِلٍ، فَرَمَى بِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَلْبَسُهُ أَبَدًا،** فَنَبَذَ^(١) النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ متفق عليه^(٢).

٥ - التَّردُّدُ فِي الْإِتِّبَاعِ أَوْ الْكَسَلُ فِيهِ يُنَافِي كِمَالَ الْإِمْتِثَالِ، وَمَنْ قَدَّمَ قَوْلًا عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُ، وَفِي الْآخِرَةِ: «**كُلُّ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؛ إِلَّا مَنْ أَبِي،** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبِي؟ قَالَ: **مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي**» رواه البخاري^(٣).



(١) أي: طَرَحَ. منحة الباري (٢٨٢/١٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب خاتم الفضة، رقم (٥٨٦٦)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب طَرَحَ خاتم الذهب، رقم (٢٠٩١).

(٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٧٢٨٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المَبْحَثُ الثَّانِي

وَفِيهِ:

١. الدُّعَاءُ.

٢. نَوَافِلُ الْعِبَادَاتِ.

٣. قِيَامُ اللَّيْلِ.

٤. ذِكْرُ اللَّهِ.

٥. التَّوْبَةُ.

٦. الْإِسْتِغْفَارُ.

الدُّعَاءُ

الدُّعَاءُ مشروعٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ويُشرعُ للمسلم أن يدعو ربَّه بكلِّ شيء ما لم يكن إثماً؛ ومن الأدعية التي يُستحبُّ للمسلم الإكثار منها:

١ - سؤالُ الله الإخلاص، وقد كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي صَالِحاً، واجْعَلْهُ لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً»^(١).

٢ - سؤالُ الله الهداية والسَّداد، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَلِّي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَلِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ» رواه مسلم^(٢).

٣ - الدُّعَاءُ بالعلم النَّافع والعمل الصَّالح، فالله سبحانه أمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسأله الزَّيادة من العلم؛ فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.

٤ - الدُّعَاءُ بخيري الدُّنيا والآخرة، قال أنس رضي الله عنه: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً،

(١) رواه أحمد في الزهد (ص ٩٧)، رقم (٦١٧).

(٢) كتاب الذِّكْرِ والدُّعَاءِ والتَّوْبَةِ والاستغفار، باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ، رقم (٢٧٢٥).

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» متفق عليه^(١).

وغير ذلك من الأدعية النبوية الجامعة.

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً»، رقم (٦٣٨٩)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء بـ«اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وفي الآخرة حسنة، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»، رقم (٢٦٩٠).

نَوَافِلُ الْعِبَادَاتِ

١ - نوافل العبادات من أسباب محبة الله ﷻ للعبد، قال النبي ﷺ في الحديث القدسي: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» رواه البخاري^(١).

٢ - النوافل تجبر نقص الفرائض، قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أَتَمَّهَا كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَمَّهَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنْظِرُوا هَلْ تَحْدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَتُكْمِلُوا بِهَا فَرِيضَتَهُ؟ ثُمَّ الزَّكَاةُ كَذَلِكَ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ» رواه أحمد^(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إِنْ قَصَرَ فِي قِضَاءِ الْفَوَائِتِ، فَلْيَجْتَهِدْ فِي الْاسْتِكْثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ، فَإِنَّهُ يُحَاسَبُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

٣ - كان السلف رضي الله عنهم يكثر من التعبُّد لله، ومن سيرتهم العِطْرَةُ في ذلك:

أ. قال الإمام البخاري رحمه الله: «مَا وَضَعْتُ فِي كِتَابِي الصَّحِيحَ حَدِيثًا

(١) كتاب الرِّقَاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في المسند، رقم (١٦٦١٤)، عن رجلٍ من أصحابِ رسول الله ﷺ.

(٣) جامع المسائل (٤/١٠٩).

إِلَّا اغْتَسَلْتُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ^(١)، وَقَالَ: صَنَّفْتُ الصَّحِيحَ فِي سِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَجَعَلْتُهُ حُجَّةً بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

ب. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَحَضَرْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ مَرَّةً صَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى إِلَى قَرِيبٍ مِنْ انْتِصَافِ النَّهَارِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: هَذِهِ غَدَوَتِي^(٣)، وَلَوْ لَمْ أَتَغَدَّ الْغَدَاءَ سَقَطَتْ قَوَّتِي، أَوْ كَلَامًا قَرِيبًا مِنْ هَذَا، وَقَالَ لِي مَرَّةً: لَا أَتْرُكُ الذِّكْرَ إِلَّا بِنِيَّةِ إِجْمَامِ نَفْسِي^(٤) وَإِرَاحَتِهَا؛ لِأَسْتَعِدَّ بِتِلْكَ الرَّاحَةِ لِذِكْرِ آخَرٍ، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ^(٥).

ج. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا أَعْرِفُ فِي هَذَا الْعَالَمِ فِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ عِبَادَةٍ مِنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ طَرِيقَةٌ فِي الصَّلَاةِ؛ يُطِيلُهَا جَدًّا، وَيَمُدُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَيَلُومُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَلَا يَرْجِعُ^(٦).

فَاشْغَلَ نَفْسَكَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ؛ بِالْمَحَافَظَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ، وَمِلَازِمَةِ النَّوَافِلِ؛ كَالسُّنَنِ الرَّوَائِبِ، وَالْوُثْرِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالِاسْتِغْفَارِ بِالْأَسْحَارِ.

وَأَلْزِمْ نَفْسَكَ سَاعَةً تَجْلِسُهَا فِي الْمَسْجِدِ لِلذِّكْرِ، وَأَحْسِنْ مَا يَكُونُ: بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ.

(١) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَمِيعُ أَحَادِيثِهِ بِالْمَكْرَرِ سِوَى الْمُعْلَقَاتِ وَالْمُتَابَعَاتِ عَلَى مَا حَرَّرْتُهُ وَأَثَقْتُهُ: سَبْعَةُ آلَافٍ وَثَلَاثُ مِائَةٍ وَسَبْعَةٌ وَتِسْعُونَ (٧٣٩٧) حَدِيثًا». فَتَحَ الْبَارِي (١/٤٦٨).

(٢) سِيرَ أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ (١٢/٤٠٢).

(٣) الْغَدْوَةُ: طَعَامُ أَوَّلِ النَّهَارِ. تَاجُ الْعُرُوسِ (٣٩/١٤٨).

(٤) أَيِ: ذَهَابِ تَعَبِي. تَاجُ الْعُرُوسِ (٣١/٤٢٧).

(٥) الْوَابِلُ الصَّبِيبُ (ص ٤٢). (٦) الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ (١٤/٢٣٥).

قيام الليل

١ - أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقُومَ اللَّيْلَ؛ فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الْمُرْمِلُ * قُمْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا * يَصِفْهُ؛ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَقُومُونَ لِلصَّلَاةِ لَيْلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَيَصِفْهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾.

٢ - عَاتَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ تَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ مِنْ صِغَارِ الصَّحَابَةِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» متفق عليه^(١).

٣ - عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَغْتَنِمَ كُلَّ لَيْلَةٍ الثُّلُثِ الْأَخِيرَ مِنَ اللَّيْلِ بِالصَّلَاةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَهُوَ زَمَنُ نَزُولِ الرَّبِّ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا - كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ -، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» متفق عليه^(٢).

(١) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يُكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، رقم (١١٥٢)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقًا، رقم (١١٥٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤ - قيام الليل من أسباب دخول الجنة، قال تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» رواه ابن ماجه^(١).

(١) كتاب الأئمة، باب إطعام الطعام، رقم (٣٢٥١)، من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

ذِكْرُ اللَّهِ

١ - الذِّكْرُ من أفضل العبادات وأيسرها، وحركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرَّك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه؛ لَشَقَّ عليه غاية المشقة، بل لا يُمكنه ذلك.

٢ - أمر الله بالإكثار من ذكره، فقال: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، وأخبر أنه سبب الفلاح، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٣ - مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ ذَكَرَهُ رَبُّهُ سبحانه، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي اَذْكُرْكُمْ﴾، وقال النبي ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» متفق عليه^(١).

٤ - كثرة الذكر سبب محبة الله للعبد، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَالَ مَحَبَّةَ اللَّهِ ﷻ فَلْيَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِهِ.

٥ - دَوَامُ ذِكْرِ اللَّهِ يُوجِبُ الْأَمَانَ من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومَعَادِهِ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي فَوَائِدِ

(١) رواه البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ، باب قول الله تعالى: ﴿يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ والدُّعَاءِ والتَّوْبَةِ والاستغفار، باب الحث على ذِكْرِ اللَّهِ تعالى، رقم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها؛ لكفى بها، فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة»^(١).

(١) الوابل الصيب (ص ٤٦).

التَّوْبَةُ

١ - التَّوْبَةُ عِبَادَةٌ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ، تُكْفِّرُ السَّيِّئَاتِ وَتَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ، وَلَا يَكْمُلُ عَبْدٌ وَلَا يَحْصُلُ لَهُ كَمَالٌ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بِهَا، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ قَدْرَ التَّوْبَةِ وَلَا حَقِيقَتَهَا»^(١).

٢ - التَّوْبَةُ سَبَبُ الْفَلَاحِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُغْلَقُ بَابُ الشُّرُورِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ»^(٢)، وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّ تِلْكَ الْعِبَادَةَ كَانَ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

٣ - مِنْ كَرَمِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَةَ تُؤَدِّي فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ فَجَّكَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٣).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(٤).

(١) مدارج السالكين (ص ٣١٣).

(٢) زاد المعاد (٤/١٨٦).

(٣) كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ قَوْلِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، رَقْمُ (٢٧٥٩)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) كتاب الصلاة، بَابُ فِي الْاسْتِغْفَارِ، رَقْمُ (١٥١٦)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَحِمَهُمَا.

٤ - يَفْرَحُ اللَّهُ ﷻ بتوبة العبد ورجوعه إليه، قال ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا» رواه مسلم^(١).

٥ - كان النبي ﷺ يَفْرَحُ بتوبة التائب، قال كعب بن مالك رضي الله عنه: «لَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ» متفق عليه^(٢).

٦ - خير يوم في عمر العبد: يوم توبته، قال النبي ﷺ لكعب بن مالك رضي الله عنه لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ توبته: «أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» متفق عليه^(٣).

٧ - كان الصحابة رضي الله عنهم يَهْنِئُ بعضهم بعضاً بالتوبة؛ لأنها نعمة عظيمة، قال كعب رضي الله عنه: «وَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا^(٤)، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يَهْنُؤُنِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ

(١) كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، رقم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم (٣٥٥٦)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبه، رقم (٢٧٦٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى الْآلِثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾، رقم (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبه، رقم (٢٧٦٩)، من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أي: أعلم بأن الله قد تاب علينا. عمدة القاري (٢٨٣/٢٤).

عَلَيْكَ» متفق عليه^(١).

٨ - قد يجد التائب بعد ترك المعصية حُزناً على فراقها؛ والسُّرور والفرح عَقِبَ التَّوْبَةِ على قَدَرِ هذا الحُزْنِ، فكلُّما كان أقوى وأشدَّ؛ كانت الفرحة أقوى وأشدَّ، وما أبهى سرور الطَّاعَةِ بعد ظُلْمَةِ المعصية، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وهاهنا دقيقة قلَّ مَنْ يتفَطَّنُ لها إِلَّا فقيهٌ في هذا الشَّانِ، وهي: أَنَّ كُلَّ تَائِبٍ لَا بَدَّ لَهُ فِي أَوَّلِ تَوْبَتِهِ مِنْ عَصْرَةٍ وَضَغْطَةٍ فِي قَلْبِهِ مِنْ هَمٍّ أَوْ غَمٍّ أَوْ ضَيْقٍ أَوْ حُزْنٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَأَلَّمَهُ بِفِرَاقِ مَحْبُوبِهِ، فَيَنْضَغُطُ لَذَلِكَ وَيَنْعَصِرُ قَلْبُهُ وَيَضِيقُ صَدْرُهُ.

فَأَكْثَرُ الْخَلْقِ رَجَعُوا مِنَ التَّوْبَةِ وَنُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لِأَجْلِ هَذِهِ الْمِحْنَةِ، وَالْعَارِفُ الْمُؤَفَّقُ يَعْلَمُ أَنَّ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَاللَّذَّةَ الْحَاصِلَةَ عَقِبَ التَّوْبَةِ تَكُونُ عَلَى قَدَرِ هَذِهِ الْعَصْرَةِ، فكلُّما كانت أقوى وأشدَّ، كانت الفرحة واللَّذَّةُ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ»^(٢).

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى الْآلِثَةِ﴾
الَّذِينَ خَلُفُوا، رقم (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ
وصاحبيه، رقم (٢٧٦٩).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٢٤٢).

الاستغفار

١ - أمر الله عباده بالاستغفار، فقال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وكان النبي ﷺ يكثرُ منه، فقال: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي^(١)، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ» رواه مسلم^(٢).

٢ - وعد الله المستغفرين بإنزال المطر عليهم وزيادة قوتهم، فقال إخباراً عن هود عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾.

بل وعدهم بزيادة الأموال والبنين، وأن يجعل لهم جنات فيها أنواع الثمار ويخللها بالأنهار الجارية بينها، فقال إخباراً عن نوح عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ يَجْعَلْ لَكُمْ فِيهَا أَنْهَارًا﴾.

٣ - الاستغفار - بإذن الله - يفتح ما انغلق من مسائل العلم وغيره، قال ابن عبد الهادي رحمه الله: «ولقد سمعته - أي: شيخ الإسلام - في مبادئ أمره يقول: إِنَّهُ لَيَقِفُ خَاطِرِي فِي الْمَسْأَلَةِ وَالشَّيْءِ، أَوْ الْحَالَةِ الَّتِي تُشَكِّلُ عَلَيَّ، فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى أَلْفَ مَرَّةٍ، أَوْ أَكْثَرَ، أَوْ أَقَلَّ، حَتَّى يَنْشِرَ الصَّدْرَ، وَيَنْحَلَّ إِشْكَالُ مَا أَشْكَلَ.

(١) أي: يُغَطِّي عليه. شرح المصابيح (٣/١٣٢).

(٢) كتاب الذُّكْرِ والدُّعَاءِ والتَّوْبَةِ والاستِغْفَارِ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم (٢٧٠٢)، من حديث الأغر المزني رحمه الله.

قال: وأكون إذ ذاك في السُّوق، أو المسجد، أو الدَّرْب، أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذُّكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي»^(١).



(١) العقود الدُّرِّيَّة (ص ٢١).

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

وَفِيهِ:

١. بَرُّ الْوَالِدَيْنِ.
٢. صَلََةُ الرَّحِمِ.
٣. قَضَاءُ حَاجَاتِ النَّاسِ.

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

١ - بِرُّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَجْلِ الْأَعْمَالِ، سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قِيلَ: **الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا**، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» متفق عليه^(١)، وَاللَّهُ قَرَنَ حَقَّهُمَا بِحَقِّهِ، فَلَهُ سُبْحَانَهُ الْعِبَادَةُ وَالْإِخْلَاصُ، وَلَهُمَا حُسْنُ الرَّعَايَةِ وَالْإِحْسَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾.

٢ - بِرُّ الْوَالِدَيْنِ خُلِقَ الْأَنْبِيَاءُ وَدُأْبُ الصَّالِحِينَ، قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ نَبِيِّهِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، وَقَالَ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

٣ - بِرُّ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ فِي تَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ، وَتَنْزُلِ الْبَرَكَاتِ، وَإِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ، وَبِهِ يَنْشَرِّحُ الصَّدْرُ، وَتَطْيِبُ الْحَيَاةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَاقِدٍ الْهَرَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا تَجِدَ عَاقًّا إِلَّا وَجَدْتَهُ جَبَّارًا شَقِيًّا، وَتَلَا ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾»^(٢).

٤ - بِرُّ الْوَالِدَيْنِ يَكُونُ بَطَاعَتِهِمَا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَخَفْضِ

(١) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم (٥٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم (٨٥)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٣٠٢).

جناح الذلّ لهما رحمةً وعطفاً، وصِدْقِ الحديثِ معهما، والإحسانِ إليهما، ودَفْعِ صنوفِ الأذى عنهما.

٥ - من فضل الله أنَّ برَّ الوالدين بعد وفاتيهما لا ينقطع؛ بل يكونُ:

أ. بالدُّعاء لهما بعد موتيهما، أو بالصَّدقة عنهما، قال النبي ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» رواه مسلم^(١).

ب. بصلّة مَنْ كانا يُحِبَّانِهِ مِنَ النَّاسِ فِي حَيَاتِهِمَا، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صَلََةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ» رواه مسلم^(٢).

وقد امثال الصحابة رضي الله عنهم قول النبي ﷺ، فحينما لقي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رجلاً من الأعراب بطريق مكة، سلّم عليه عبد الله، وحمله على حمارٍ كان يركبه، وأعطاه عِمَامَةً كانت على رأسه، فقبل لعبد الله بن عمر: «أَضْلَحَكَ اللَّهُ، إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدّاً لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» رواه مسلم^(٣).

(١) كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة أصدقاء الأب والأمّ ونحوهما، رقم (٢٥٥٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة أصدقاء الأب والأمّ ونحوهما، رقم (٢٥٥٢).

صِلَةُ الرَّحِمِ

١ - قَرَنَ اللَّهُ الْأَمْرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْأَمْرِ بِتَوْحِيدِهِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشُّرْكِ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾.

٢ - أَمَرَ اللَّهُ مَنْ سَبَقْنَا مِنَ الْأُمَمِ بِصِلَةِ الرَّحِمِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾.

٣ - مُقَابَلَةُ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ مَكَاافَةٌ وَمَجَازَاةٌ، وَحَقِيقَةُ الصَّلَةِ: وَضَلُّ مَنْ قَطَعَكَ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

٤ - إِنَّ بَدَرَ مَنْ ذَوِي الرَّحِمِ شَيْءٌ مِمَّا يَسُوءُ؛ فَالْزَمَ جَانِبَ الْعَفْوِ، وَقَابَلَ إِسَاءَتَهُمْ بِالْإِحْسَانِ، فَإِخْوَةُ يُوسُفَ ﷺ فَعَلُوا بِهِ مَا فَعَلُوا، فَصَفَحَ عَنْهُمْ، وَلَمْ يُؤَبِّخْهُمْ، بَلْ دَعَا لَهُمْ ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

٥ - يَظْهَرُ أَثَرُ صِلَةِ الرَّحِمِ بِالْبَرَكَةِ فِي الْمَالِ وَالْعُمْرِ، قَالَ

(١) كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمُكَافِي، رقم (٥٩٩١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ^(١)؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفق عليه^(٢).

٦ - صَلََةُ الرَّحْمِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «ذَلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِيَنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ» متفق عليه^(٣).

(١) أي: يُؤَخَّرَ له في أَجَلِهِ. شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١١٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب مَنْ بُسِطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ بِصَلَةِ الرَّحْمِ، رقم (٥٩٨٦)، ومسلم، كتاب البرِّ والصَّلةِ والآداب، باب صَلََةُ الرَّحْمِ وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب فضل صَلََةِ الرَّحْمِ، رقم (٥٩٨٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، رقم (١٣)، من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

قَضَاءُ حَاجَاتِ النَّاسِ

١ - عبادةُ الله ونفعُ الخلق من أسبابِ نوالِ رحمةِ الله، قال ابن القيم رحمته: «مفتاح حصول الرحمة: الإحسان في عبادة الخالق، والسعي في نفع عباده»^(١).

٢ - خدمةُ الناس، والإحسانُ إليهم من منهج المرسلين؛ فموسى عليه السلام أعان امرأتين في سقي الماء، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَى لَا سَقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

ونبيُّنا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه الوحي أتى إلى خديجة رضي الله عنها خائفاً يَرْتَجِفُ فؤاده، فذَكَرَتْهُ بأعمالِهِ الصَّالِحَةِ مع النَّاسِ، فقالت له: «وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ»^(٢)، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ^(٣)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ^(٤)، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(٥)» متفق عليه^(٦).

(١) حادي الأرواح (ص ٦٦).

(٢) أي: تُعِينُ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْعَمَلِ وَالْكَسْبِ. فتح الباري (١/ ١٨٠).

(٣) أي: تُعْطِي النَّاسَ مَا لَا يَجِدُونَهُ عِنْدَ غَيْرِكَ. شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٢٠١).

(٤) أي: تُهَيِّئُ لَهُ طَعَامَهُ وَنُزْلَهُ. مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٧٣٢).

(٥) أي: مَا يَنْزِلُ بِالنَّاسِ مِنَ الْحَوَادِثِ. مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٧٣٢).

(٦) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، رقم (٣)، =

٣ - الإسلامُ جَمَعَ بين العبادة والمُعَامَلَة، والجمعُ بين عبادة الله ونَفْعِ الخَلْقِ لا يقوم بهما إِلَّا المَوْفَّق، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «والجمعُ بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيزٌ جدًّا، لا يَقْوَى عليه إِلَّا الكَمَلُ من الأنبياء والصديقين»^(١).

٤ - مَنْ أَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ، وَلَمْ يَرْجُ مِنْهُمْ شَيْئاً نَالَ السَّعَادَةَ، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «والسَّعَادَةُ فِي مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ: أَنْ تُعَامِلَهُمْ لِلَّهِ فَتَرْجُو اللَّهَ فِيهِمْ، وَلَا تَرْجُوهُمْ فِي اللَّهِ، وَتَخَافُهُ فِيهِمْ، وَلَا تَخَافُهُمْ فِي اللَّهِ، وَتُحَسِّنَ إِلَيْهِمْ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ لَا لِمُكَافَأَتِهِمْ، وَتُكْفَى عَنْ ظُلْمِهِمْ خَوْفًا مِنْ اللَّهِ لَا مِنْهُمْ»^(٢).

٥ - سَارَ الْعُلَمَاءُ عَلَى مَنَهِجِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَخِدْمَةِ النَّاسِ، قَالَ الذَّهَبِيُّ عَنْ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُمَا: «وَلَهُ مُحِبُّونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ، وَمِنَ الْجُنْدِ وَالْأَمْرَاءِ، وَمِنَ التُّجَّارِ وَالْكَبْرَاءِ، وَسَائِرُ الْعَامَّةِ تُحِبُّ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ؛ لِأَنَّهُ مُنْتَصَبٌ لِنَفْعِهِمْ لَيْلاً وَنَهَاراً بِلِسَانِهِ وَقَلَمِهِ»^(٣).



= ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (١٦٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(١) جامع العلوم والحكم (١/٤٥٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/٥١).

(٣) العقود الدررية (ص ١٣٤).

المَبْحَثُ الرَّابِعُ

وَفِيهِ:

١. حُسْنُ الْخُلُقِ.
٢. الصَّدْقُ.
٣. سَلَامَةُ الصَّدْرِ.

حُسْنُ الْخُلُقِ

١ - مكارمُ الأخلاق، ومحاسنُ الآداب؛ ببسطِ الوجه، وبذلِ المعروف، وكفِّ الأذى، واللَّهُ ﷻ أثنى على النَّبِيِّ ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

٢ - خيار النَّاس: مَنْ جَمَعَ بين التَّقْوَى وحُسْنِ الْخُلُقِ، قال الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» متفق عليه^(١).

٣ - يُدْرِكُ المرءُ بحسنِ خُلُقِهِ درجةَ العابدين، قال الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» رواه أبو داود^(٢).

٤ - حُسْنُ الْخُلُقِ عبادةٌ تُثْقِلُ المِيزَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قال النَّبِيُّ ﷺ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنِ» رواه الترمذي^(٣).

٥ - حُسْنُ الْخُلُقِ يَجْمَعُ خصالَ الخير، قال ﷺ: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ» رواه مسلم^(٤).

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب حُسْنِ الْخُلُقِ والسَّخَاءِ وما يُكْرَهُ من البخل، رقم (٦٠٣٥)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته ﷺ، رقم (٢٣٢١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم (٤٧٩٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أبواب البرِّ والصَّلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حُسْنِ الْخُلُقِ، رقم (٢٠٠٢)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب تفسير البرِّ والإثم، رقم (٢٥٥٣)، من حديث النَّوَّاس بن سَمْعَانَ رضي الله عنه.

الصَّدَقُ

١ - أمر الله ﷺ بالصدق، فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وهو أصل الإيمان، قال ابن القيم رحمه الله: «والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب»^(١).

٢ - الصدق يجمع أبواب الخير، قال النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصَّادِقِ، فَإِنَّ الصَّادِقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّادِقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» متفق عليه^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «فالصدق بريد الإيمان ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه؛ بل هو لبه^(٣) وروحه^(٤)».

٣ - سلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا الخلق الرفيع، فأجمعت

(١) مدارج السالكين (٢/٢٥٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وما ينهى عن الكذب، رقم (٦٠٩٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم (٢٦٠٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أي: خالصة. الصحاح (١/٢١٦).

(٤) زاد المعاد (٣/٥١٧).

الْأَمَّةُ عَلَى تَلْقِيهِهِ بِالصِّدِّيقِ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَعَتِ الْأَئِمَّةُ عَلَى تَسْمِيَّتِهِ صِدِّيقًا»^(١).

٤ - عِبَادَةُ الصَّادِقِ مِنْ أَشَقِّ الْعِبَادَاتِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَشَقَّتَهَا وَإِخْفَاقَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِيهَا، فَالْحِظْ ذَلِكَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، كَمْ تَسْمَعُ فِيهِ مِنْ كَذِبَةٍ؟!

٥ - يَقْبُحُ بِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ تُكْتَبَ عَلَيْهِ كَذِبَةٌ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنَ الْكَذِبِ، وَالْكَذِبُ مُتَوَلَّدٌ مِنَ الْجَوْرِ وَالْجُبْنِ وَالْجَهْلِ؛ لِأَنَّ الْجُبْنَ يُؤَلِّدُ مَهَانَةَ النَّفْسِ، وَالْكَذَابَ مَهِينُ النَّفْسِ، بَعِيدٌ عَنْ عِزَّتِهَا الْمَحْمُودَةِ»^(٢).

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٨١).

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٦١).

سَلَامَةُ الصَّدْرِ

١ - امتدح الله خليله إبراهيم عليه السلام بسلامة القلب، فقال: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «ولا تتم له سلامته مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء: من شركٍ يُناقض التوحيد، وبدعةٍ تُخالف السنة، وشهوةٍ تُخالف الأمر، وغفلةٍ تُناقض الذكر، وهوىٍ يُناقض التجريد والإخلاص، وهذه الخمسة حُجُب عن الله»^(١).

٢ - الأعمال الصالحة نابعة من صلاح القلب، والمسلم يسعى لسلامة قلبه، وسلامة القلب في تطهيره مما يعلق به من المعاصي، قال أنس بن مالك رضي عنه: «أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه^(٢) فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة^(٣)، فقال: هذا حظ الشيطان منك^(٤)، ثم غسله في طست^(٥) من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه^(٦)، ثم أعاده في مكانه» رواه مسلم^(٧).

٣ - تحلى الصحابة رضي الله عنهم بهذه الخصلة العظيمة، فأثنى الله على

(١) الجواب الكافي (ص ٢٨٣).

(٢) أي: فطرحه وألقاه على قفاه. مرقاة المفاتيح (٩/٣٧٤٣).

(٣) أي: قطعة دم جامد. فتح الباري (١١/٤٨١).

(٤) أي: نصيبه لو دام معك. مرقاة المفاتيح (٩/٣٧٤٣).

(٥) أي: إناء. شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢١٦).

(٦) أي: أصلح موضع شقه. مرقاة المفاتيح (٩/٣٧٤٣).

(٧) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات، رقم (١٦٢).

الأنصار بقوله: ﴿وَلَا يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

٤ - سار العلماء على هذا النهج القويم، قال ابن القيم رحمته الله عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وَدِدْتُ أَنِّي لِأَصْحَابِي مِثْلُهُ لِأَعْدَائِهِ وَخُصُومِهِ^(١)، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم، وَجِئْتُ يَوْمًا مُبَشِّرًا لَهُ بِمَوْتِ أَكْبَرِ أَعْدَائِهِ، وَأَشَدَّهُمْ عَدَاوَةً وَأَذَى لَهُ، فَهَرَنْي وَتَنَكَّرَ لِي^(٢)، وَاسْتَرْجَعَ^(٣)، ثُمَّ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى بَيْتِ أَهْلِهِ فَعَزَّاهُمْ، وَقَالَ: إِنِّي لَكُمْ مَكَانَهُ، وَلَا يَكُونُ لَكُمْ أَمْرٌ تَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مُسَاعَدَةٍ إِلَّا وَسَاعَدْتُكُمْ فِيهِ، وَنَحْوُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ، فَسُرُّوا بِهِ وَدَعَوْا لَهُ، وَعَظَّمُوا هَذِهِ الْحَالِ مِنْهُ»^(٤).

٥ - في سلامة القلب: تحقيق الإيمان بالقضاء والقدر، وانشراح الصدر، وراحة البال، وطمأنينة النفس، وحسن ظن بالآخرين، وسعادة في الحياة.

٦ - ثواب سلامة الصدر جنات النعيم، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: **يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَبَاتَ عِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ

(١) أي: لِيَتَنِي أَعْمَلُ أَصْحَابِي كَمَا يُعَامِلُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ أَعْدَاءَهُ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ.

(٢) التَّنَكَّرُ: التَّعَبُّرُ عَنْ حَالٍ تَسْرُكٌ إِلَى حَالٍ تَكْرَهُهَا. تهذيب اللغة (١٠/١٠٩).

(٣) أي: قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

(٤) مدارج السالكين (٢/٣٢٨).

العاصِ ثلاثَ ليالٍ، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، فسأله عبدُ الله بنُ عمرو: ما الذي بلغ بك ما قال رسولُ الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيته، غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسدُ أحداً على خيرٍ أعطاه الله إياه» رواه أحمد^(١).



(١) في المسند، رقم (١٢٦٩٧).

المَبْحَثُ الْخَامِسُ

وَفِيهِ:

١. الْحِرْصُ عَلَى الْوَقْتِ.
٢. الصَّبْرُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ.
٣. الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ.

الْحِرْصُ عَلَى الْوَقْتِ

١ - أقسم الله بالفجر والصُّحى والعصر والنَّهار والليل؛ تذكيراً بأهميَّة الزَّمن، فمزلتكَ في الآخرة هو بما تَعْمَلُهُ في هذه الدُّنيا.

٢ - احْفَظْ وَقْتَكَ، واغْتَنِمْهُ بما ينفع، قال النَّبِيُّ ﷺ: «**اِحْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ**» رواه مسلم^(١).

٣ - من أسباب نُبوغ مَنْ نَبَغ من العُلَماء: محافظتُهم على أعمارِهِم بِحِفْظِ زمانِهِم، وصحبةُ صالحَةٍ أعانَتْهم على طاعة ربِّهم.

٤ - كما أنَّ حَفْظَ الوقت سببٌ في تحصيلِ العِلْم؛ فاخْتِيارُ المكان الخالي من شواغل الذَّهن سببٌ في اغتنام الوقت وأدعى لكمال الحفظ والفهم، قال ابن الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يُحَمَّدُ الحِفْظُ بِخُضْرَةِ خُضْرَةٍ^(٢)، وعلى شاطئِ نهر؛ لأنَّ ذلك يُلهِي»^(٣).

٥ - مَنْ حَفِظَ وقته، ورَزَقَهُ اللهُ الإخلاص؛ بُورِكَ له في عمله، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وقد شاهدتُ من قوَّة شيخ الإسلام ابن تيمية في

(١) كتاب القَدَر، باب في الأمر بالقوَّة، وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم (٢٦٦٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أي: بساتين.

(٣) صيد الخاطر (ص ١٩٢).

سُنَّه وكلامه وإقدامه وكتابه أمراً عجباً، فكان يكتب في اليوم من التّصنيف ما يكتبه النّاسخ في جُمعة^(١) وأكثر^(٢).

(١) أي: في أسبوع.

(٢) الوابل الصيب (ص ٧٧).

الصَّبْرُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

طالبُ العلمِ يَبْذُلُ وُسْعَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، كَمَا بَذَلَ الْعُلَمَاءُ الْأَوَائِلُ جُهْدَهُمْ فِي تَحْصِيلِهِ وَتَبْلِيغِهِ لَنَا، وَمِمَّا يُذَكِّرُ عَنْ بَعْضِهِمْ مِمَّا لَاقَوْهُ مِنْ مَشَاقِّ فِي سَبِيلِ طَلَبِ الْعِلْمِ مَا يَأْتِي:

١ - أَبُو حَاتِمِ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَشَى عَلَى قَدَمَيْهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَثِيرًا، وَأَحْصَى مَا مَشَاهُ فَبَلَغَ أَكْثَرَ مِنْ (٨٢٨٠ كيلو مترًا).

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَوَقَّفَ عَنْ إِحْصَاءِ مَا يَمْشِيهِ، وَأَصْبَحَ يَذْكُرُ الْمُدُنَ الَّتِي مَشَى إِلَيْهَا لَطَلَبِ الْعِلْمِ، وَمَسَافَةَ مَا مَشَاهُ بَيْنَ الْمَدَنِ الَّتِي ذَكَرَهَا: (٥٥٨٥ كيلو مترًا).

وَمَجْمُوعُ مَا أَحْصَاهُ مِنَ الْمَسَافَةِ، مَعَ الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْمَدَنِ الَّتِي ذَكَرَهَا: (١٣٨٦٥ كيلو مترًا).

وَوَصَفَ رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْلَتَهُ هَذِهِ قَائِلًا: «أَوَّلُ سَنَةٍ خَرَجْتُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ أَقْمْتُ سَبْعَ سِنِينَ، أَحْصَيْتُ مَا مَشَيْتُ عَلَى قَدَمَيَّ زِيَادَةً عَلَى أَلْفِ فَرَسَخٍ^(١)، ثُمَّ تَرَكْتُ الْعَدَّ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَخَرَجْتُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ^(٢) إِلَى مِصْرَ مَاشِيًا.

(١) الْفَرَسَخُ: يَسَاوِي (٨,٢٨ كيلو مترًا). كِتَابُنَا: تَحْقِيقُ الْأَطْوَالِ الشَّرْعِيَّةِ وَتَحْدِيدُهَا بِالْأَطْوَالِ الْمَعَاصِرَةِ.

(٢) هِيَ الْأَحْصَاءُ حَالِيًا، شَرْقُ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.

ثُمَّ إِلَى الرَّمْلَةِ^(١) مَاشِيًا.

ثُمَّ إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ^(٢)، ثُمَّ إِلَى طَرُسُوسَ^(٣).

ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى حِمَصَ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الرَّقَّةِ^(٤).

ثُمَّ رَكِبْتُ إِلَى الْعِرَاقِ.

كُلُّ هَذَا وَأَنَا ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً^(٥).

٢ - قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «خَرَجْتُ إِلَى آدَمَ بْنِ أَبِي إِيَّاسَ، فَتَخَلَّفْتُ - أَيُّ: تَأَخَّرْتُ - عَنِّي نَفَقَتِي، حَتَّى جَعَلْتُ أَتَنَاوُلُ الْحَشِيشَ^(٦)، وَلَا أَخْبِرُ بِذَلِكَ أَحَدًا، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ أَتَانِي آتٍ لَمْ أَعْرِفْهُ، فَنَاولَنِي صُرَّةَ دَنَانِيرَ^(٧)، وَقَالَ: أَنْفِقْ عَلَى نَفْسِكَ^(٨)».

٣ - قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ - أَيُّ: وَمِئَتَيْنِ - بَقِيتُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ فِي نَفْسِي أَقِيمُ سَنَةً، فَانْقَطَعَتْ نَفَقَتِي، فَجَعَلْتُ أَبِيعُ ثِيَابِي حَتَّى نَفَدْتُ، وَبَقِيتُ بِلاَ نَفَقَةٍ^(٩)».

(١) فِي فَلَسْطِينَ.

(٢) فِي تَرْكِيَا.

(٣) فِي تَرْكِيَا.

(٤) فِي سُورِيَا.

(٥) طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى (٢/٢٠٨).

(٦) الْحَشِيشُ: مَا يَبْسُ مِنَ الْعُشْبِ. الصَّحَاحُ (١/٦٩، ٣/١٠٠١).

(٧) أَيُّ: خِرْقَةٌ فِيهَا دَنَانِيرُ. الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ (١/٣٣٨).

(٨) طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى (٢/٢٢٧).

(٩) سِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ (١٣/٢٥٦).

٤ - قال زكريّا الأنصاريّ رَحِمَهُ اللهُ: «جئْتُ من البلاد وأنا شابٌّ، فلم أعكف على الاشتغال بشيءٍ من أمور الدُّنيا، ولم أُعَلِّق قلبي بأحدٍ من الخلق، وكنتُ أجوعُ في الجامع كثيراً، فأخرجُ في اللَّيْلِ إلى المِضْأَةِ^(١) وغيرها، فأغسلُ ما أجدهُ من قُشَيْرَاتِ البَطِيخِ حوالي المِضْأَةِ وآكلُها، وأقنع^(٢) بها عن الخُبْزِ، فأقمتُ على ذلك الحال سنين»^(٣).

٥ - رَهَنَ الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ نَعْلَهُ عند خَبَّازٍ على طعامٍ أَخَذَهُ منه عند خروجه من اليمن، وأكْرَى نفسه^(٤) من ناسٍ من الجَمَّالين^(٥) عند خروجه^(٦).

٦ - في ترجمة الإمام البُخاريّ رَحِمَهُ اللهُ، قال عمر بن حفص الأَشقر: «كُنَّا مع مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخاريّ بالبصرة نكتبُ الحديثَ، ففقدناه أَيَّاماً، فطلبناه، فوجدناه في بيتٍ وهو عُريَان، وقد نَفِدَ ما عنده، ولم يَبْقَ معه شيءٌ، فاجتمعنا وجمعنا له الدَّرَاهِمَ حتى اشترينا له ثوباً وكَسُونَاهُ، ثُمَّ اندفع معنا في كتابة الحديث»^(٧).

٧ - قال الحافظ ابن كثيرٍ عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «وَسُرِقَتْ ثِيَابُهُ

(١) أي: المَوْضِع الذي يُتَوَضَّأُ فيه. تاج العروس (١/ ٤٩٠).

(٢) أي: أكتفي.

(٣) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/ ١٩٨).

(٤) أي: أَجَرَ نفسه بالعمل. مقاييس اللغة (٥/ ١٣٧).

(٥) أي: أصحاب الجِمال - الإبل - تاج العروس (٢٨/ ٢٣٣).

(٦) مناقب الإمام أحمد لابن الجَوْزِي (ص ٣١٠).

(٧) تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٢).

وهو باليمن، فجلس في بيته، وردَّ عليه الباب^(١)، وفقدَهُ أصحابه، فجاؤوا إليه فسألوه، فأخبرهم، فعرضوا عليه ذهباً فلم يقبله، ولم يأخذ منهم إلا ديناراً واحداً ليكتبَ لهم به^(٢)، فكتبَ لهم بالأجر^(٣).

بمثلِ هذه المشقةِ الشديدة، ومع الإخلاصِ لله بقيَ علمُ السلفِ ناصعاً مثمراً كأنما دَوَّنوه اليوم.

(١) أي: أغلقه.

(٢) أي: أخذ الدينار أجرةً لما ينسخه لهم من الكتب.

(٣) البداية والنهاية (٣٢٩/١٠).

الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ

١ - من أسباب الثَّبات على الإيمان: الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ، وهي في زمن الفتن أَلَزَم؛ لا سِيَّما الصُّحْبَةُ الجَادَّةُ في طَلَبِ العلم، قال النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» رواه أحمد^(١).

٢ - لا غِنَى لأَحَدٍ عن صحبةٍ صالحة، فاللَّهُ أَخْبَرُ بِأَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ صاحباً، فقال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنِّي اللَّهُ مَعَنَا﴾.

٣ - الجَلِيسُ الصَّالِحُ يَنْفَعُكَ في جميع أحوالك؛ لذا شَبَّهه النَّبِيُّ ﷺ بِحَامِلِ الْمِسْكِ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِرَائِحَةِ الْمِسْكِ الَّذِي مَعَهُ، أو تشتري منه الْمِسْكَ، فقال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسُّوءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ»^(٢).

فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ^(٣)، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ^(٤) مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَحِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً.

(١) في المسند، رقم (٨٤١٧).

(٢) الْكَبِيرُ: جلدٌ غليظٌ يَنْفُخُ به الحَدَّاد. الإفصاح عن معاني الصحاح (٢٧٧/٨)، المصباح المنير (٥٤٥/٢).

(٣) أي: يُعْطِيكَ. شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٤٦/٥).

(٤) أي: تشتري. المفاتيح شرح المصابيح (٢٣١/٥).

وَنَافِعُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً» متفق عليه^(١).

٤ - من منافع الصُّحبة الصَّالحة: أَنَّ مَنْ جَلَسَ مَعَهُمْ لَا يَشْقَى، فَمَنْ جَلَسَ فِي حَلَقَةٍ ذُكِرَ فِيهِمْ صَالِحُونَ وَهُوَ مُذْنِبٌ؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً^(٢) فَضُلًّا^(٣)، يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ.

فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَخَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٤) بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلُؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا، وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ.

قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ﷻ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ -: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ.

قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ.

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، رقم (٢١٠١)، ومسلم، كتاب البرِّ والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصَّالحين ومجانبة قُرْءاء السُّوء، رقم (٢٦٢٨)، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) أي: يطوفون في الطُّرُق. وهذا التفسير من قول النَّبِيِّ ﷺ، وقد رواه البخاري، كتاب الدَّعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، رقم (٦٤٠٨).

(٣) أي: ملائكة زائدين على الحَفَظَةِ وغيرهم من المرتبين مع الخلائق، فهؤلاء السَّيَّارة لا وظيفة لهم، وإنما مقصودهم حَلَقُ الذِّكْرِ. شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/١٤).

(٤) أي: أحاطوا بهم. القاموس المحيط (١٠٨/١).

قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا؛ أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟! **جَنَّتِي؟!**

قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟
قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ:
فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟!
قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ.

قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا.

قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ.
قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» رواه مسلم^(١).

٥ - إِنَّ بَدْرَ مَنْ صَاحِبِكَ الصَّالِحِ نُفُورٌ فِي أَخْلَاقِهِ فَاصْبِرْ عَلَيْهِ؛
فَمَصْلَحَةُ صُحْبَتِهِ مُقَدِّمَةٌ عَلَى بَعْضِ غُيُوبِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ
مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ
تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرُطًا﴾، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ: اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ،
وَيُهَلِّلُونَهُ، وَيَحْمَدُونَهُ، وَيُسَبِّحُونَهُ، وَيُكَبِّرُونَهُ، وَيَسْأَلُونَهُ بَكْرَةً وَعَشِيًّا مِنْ

(١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، رقم (٢٦٨٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقياء أو ضعفاء»^(١).

٦ - كلُّ صداقةٍ في الدُّنيا تنقلبُ عداوةً يوم القيامة إلا صداقة المتقين، فنفعها يمتدُّ في الآخرة، قال سبحانه: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

٧ - في أرض المحشر - والشمسُ قدر ميلٍ من الخلق - وعد الله المتحابين في ذات الله بأن يُظللهم في ظلّه، قال النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

الإمام العادل.

وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ.

وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ.

وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ.

وَرَجُلٌ طَلَبْتُهُ امْرَأَةً ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ.

وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ.

وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» متفق عليه^(٢).



(١) تفسير ابن كثير (٥/١٥٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم (٦٦٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المَبْحَثُ السَّادِسُ

وَفِيهِ:

١. حُضُورُ دُرُوسِ الْعُلَمَاءِ.

٢. الْإِكْتِنَارُ مِنَ الشُّيُوخِ.

٣. احْتِرَامُ الْعُلَمَاءِ.

٤. احْتِرَامُ الْأَقْرَانِ.

حُضُورُ دُرُوسِ الْعُلَمَاءِ

١ - المرءُ بحاجةٍ إلى القُرْبِ من العلماء؛ للانتفاع بعِلْمِهِمْ، وسؤالهم عما يُشْكِلُ من المسائل، قال سبحانه: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلماءُ بالله وأمره هم حياةُ الوجود وروحه، ولا يُستغنى عنهم طَرْقة عين»^(١).

٢ - مَنْ قُرِبَ من العلماء انتَفَعَ بعِلْمِهِمْ وَسَمْتِهِمْ وصَلَحِهِمْ وتواضعِهِمْ، فقد مَنَّْ اللَّهُ عليهم بفضائل كثيرة، قال الأَجَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلماءُ في كلِّ حالٍ لهم فضلٌ عظيمٌ:

في خُرُوجِهِمْ لطلبِ العِلْمِ.

وفي مُجَالَسَتِهِمْ لهم فيه فضلٌ.

وفي مذاكرةِ بعضهم لبعضٍ لهم فيه فضلٌ.

وفيمَنْ تعلَّموا منه العلمَ لهم فيه فضلٌ.

وفيمَنْ علَّموه العلمَ لهم فيه فضلٌ.

فقد جمع الله للعلماء الخيرَ من جهاتٍ كثيرة، نَفَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ بِالْعِلْمِ»^(٢).

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١١).

(٢) أخلاق العلماء للأجري (ص ٤٠).

٣ - مَنْ دنا من العلماء لم يخلُ من دعوةٍ صالحةٍ منهم، قال ابن حجر عن شيخه برهان الدين ابن جماعة رحمته الله: «لَا زَمْتُهُ زيادةً على ثلاث سنين، ووصلتُ عليه بالإجازة شيئاً كثيراً، وانتفعتُ ببركته^(١) ودعائه لي كثيراً»^(٢).

٤ - مجالسُ العلماء من خير المجالس، قال سهل بن عبد الله التستري رحمته الله: «مَنْ أَرَادَ النَّظَرَ إِلَى مَجَالِسِ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ»^(٣).

٥ - في مجالستهم فوائد عديدة، قال ابن القيم رحمته الله: «وقيل: مُجَالَسَةُ الْعَارِفِ تَدْعُوكَ مِنْ سِتٍّ إِلَى سِتٍّ: مِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ، وَمِنَ الرِّبَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ، وَمِنَ الْغَفْلَةِ إِلَى الذِّكْرِ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَمِنَ الْكِبَرِ إِلَى التَّوَاضُعِ، وَمِنَ سُوءِ الطَّوِيَّةِ^(٤) إِلَى النَّصِيحَةِ»^(٥).

٦ - كَانَ طُلَّابُ الْعِلْمِ يَحْرِصُونَ عَلَى حُضُورِ دُرُوسِ الْعُلَمَاءِ، وَيَكْثُرُونَ مِنْهَا، قَالَ ابْنُ الْعَطَّارِ عَنِ النَّوَوِيِّ رحمته الله: «وَذَكَرَ لِي الشَّيْخُ - يَعْنِي: النَّوَوِيُّ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ قَالَ: كُنْتُ أَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ اثْنِي عَشَرَ دَرْسًا عَلَى الْمَشَايِخِ؛ شَرْحًا وَتَصْحِيحًا:

(١) أي: ببركة علمه.

(٢) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس (١/٨٣).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (ص ٩).

(٤) الطَّوِيَّةُ: النَّيَّةُ. تاج العروس (٣٨/٥١٣).

(٥) مدارج السالكين (٣/٣٢٢).

درسین فی «الوسیط»^(١)، ودرساً فی «المُهدَّب»^(٢).
 ودرساً فی «الجمع بین الصَّحیحَین» ، ودرساً فی «صَحیحِ مسلم».
 ودرساً فی «اللُّمَع» لابن جُنَّی فی النُّحو.
 ودرساً فی «إِصلاح المَنْطِق» لابن السَّکِّیت فی اللُّغة، ودرساً فی التَّصْرِیف.
 ودرساً فی أصول الفقه؛ تارة فی «اللُّمَع» لأبی إسحاق، وتارة فی «المُتَّخَب» لفخر الدِّین الرَّازی.
 ودرساً فی أسماء الرِّجال، ودرساً فی أصول الدِّین.
 وکنتُ أعلِّقُ جمیع ما یتعلَّقُ بها؛ من شرح مُشکل، ووضوح عبارة، وضبط لغة»^(٣).
 ٧ - کان طَلَّابُ الْعِلْمِ یُلازِمُونَ الْعُلَمَاءَ، وَیَصَحَّبُونَهُم السَّنَاتِ الطَّوَالَ، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «لَا زَمْتُ شَیْخَنَا - أی: الحافظ العراقي - عشر سنین، تخلَّل فی أَثْنائِها رحلاتی إلى الشَّامِ وَغَیْرِها، قرأتُ علیه کثیراً من المسانید والأجزاء، وبحثتُ علیه (شرحه علی منظومته)^(٤)، وَغَیْر ذلِکَ»^(٥).

(١) لأبی حامد الغزالی فی الفقه الشافعی.

(٢) لأبی إسحاق الشیرازی فی الفقه الشافعی.

(٣) تحفة الطالبین (ص ٤٩).

(٤) المُسمَّى: «شرح التبصرة والتذكرة».

(٥) إنباء الغُمر بأبناء العمر (٢/ ٢٧٧).

٨ - كان السلف يسعون للانتفاع من العلماء بكل سبيل، ويصبرون على ذلك، قال الذهبي رحمه الله: «قرأت على محمود بن محمد بن محمود بن عبد المنعم ابن المراتبي الصالح الخرائطي - الأصم^(١) - ، بأقوى صوتي في أذنه ثلاثة أحاديث»^(٢).

٩ - إذا تعذر حضور دروس العلماء؛ فاستمع إلى دروسهم المنقولة عبر البث المباشر، أو المسجلة.

(١) الأصم: ثقيل السمع. تاج العروس (٣٢/٥١٣).

(٢) معجم الشيخ الكبير (٢/٣٣٥).

الإِكْثَارُ مِنَ الشُّيُوخِ

اختَارَ اللَّهُ العلماءَ لتعليمِ النَّاسِ الدِّينَ، وَوَهَبَهُمْ عِلْماً وَفَهْماً، وَفَاضَلَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَالْمُتَعَلِّمُ يَنْهَلُ مِنْ مَعِينِ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ، وَلِأَهْمِيَّةِ ذَلِكَ حَرَصَ السَّلَفُ عَلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِلانْتِفَاعِ بِعِلْمِهِمْ وَسَمَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ؛ وَمِنْ ذَلِكَ:

١ - قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٢٥٦هـ): «كَتَبْتُ عَنْ أَلْفِ شَيْخٍ وَأَكْثَر»^(١).

٢ - مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ابْنُ مَنْدَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٣٩٥هـ): كَتَبَ عَنْ أَلْفٍ وَسَبْعِ مِائَةِ شَيْخٍ^(٢).

٣ - إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَامِدِ الْمَرْجِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٦٥٣هـ): شَيْوْخُهُ يَقَارِبُونَ أَلْفَ شَيْخٍ^(٣).

٤ - عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلْفِ الدِّمِيَاطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٠٥هـ): بَلَغَ عَدْدُ مَشَايِخِهِ (١٢٥٠) شَيْخاً^(٤).

٥ - عِثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّوَزَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧١٣هـ): شَيْوْخُهُ نَحْوُ مِنْ أَلْفِ شَيْخٍ^(٥).

(١) طبقات الحنابلة (١/٢٧٥).

(٢) طبقات الحنابلة (٢/١٦٧).

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب (٤/١٦٣١).

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣/٢٢٢).

(٥) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/٤٣٧).

- ٦ - عبد الله بن المحب المقدسي رحمته الله (ت ٧٣٧هـ): مشيخته نحو ألف شيخ^(١).
- ٧ - أخذ القاسم بن محمد البرزالي رحمته الله (ت ٧٣٩هـ) عن أزيد من ألفي شيخ^(٢).
- ٨ - الحافظ المزي رحمته الله (ت ٧٤٢هـ): مشيخته نحو ألف شيخ^(٣).
- ٩ - شيوخ الذهب رحمته الله (ت ٧٤٨هـ) ألفا شيخ^(٤).
- ١٠ - الحسن بن علي بن محمد البغدادي رحمته الله (ت ٧٥١هـ): شيوخه ألف شيخ^(٥).
- ١١ - محمد بن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ): شيوخه أزيد من ألف شيخ^(٦).
- ١٢ - عبد العزيز بن عمر بن فهد القرشي رحمته الله (ت ٩٢٠هـ): شيوخه نحو ألف شيخ^(٧).

(١) الرد الوافر (ص ١٠١)

(٢) المعجم المختص بالمحدثين (ص ٧٧).

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٦/ ٢٢٨).

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٧١).

(٥) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٢/ ١٣٣).

(٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ١٨٠).

(٧) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/ ٢٣٩).

احْتِرَامُ الْعُلَمَاءِ

١ - توقيرُ العلماء من إجلال الله؛ فَهُمْ ورثة الأنبياء وحملة الدين، ومن مُعتقِدِ أهل السنّة والجماعة: الثناء عليهم وإجلالهم، قال الطّحاويّ رَحِمَهُ اللهُ: «علماء السّلف من السّابقين والتّابعين ومن بعدهم - من أهل الخبر والأثر، وأهل الفقه والنّظر - لا يُذكّرون إلّا بالجميل»^(١).

٢ - سار تلاميذ العلماء على هذا الوصف الرّفيع من احترام العلماء، قال الرّبيع بن سليمان رَحِمَهُ اللهُ: «والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشّافعي ينظر إليّ؛ هيبه له»^(٢).

٣ - كان لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أخٌ يُجِلُّهُ ويُعَظِّمُهُ، قال البزّار رَحِمَهُ اللهُ: «وما رأيتُ أحداً كان أشدّ تعظيماً للشيخ من أخيه هذا - أعني: القائم بأمره -، وكان يجلس بحضرته كأنّ على رأسه الطّير، وكان يهابه كما يهابُ سلطاناً، وكنا نعجبُ منه في ذلك، ونقول: من العُرف والعادة أنّ أهل الرّجل لا يحتشمونه كالأجانب، بل يكون انبساطهم معه فضلاً عن الأجنبي، ونحن نراك مع الشيخ كتلميذٍ مُبالغٍ في احتشامه واحترامه، فيقول: إنّي أرى منه أشياء لا يراها غيري أوجبت عليّ أن أكون معه كما ترون»^(٣).

(١) العقيدة الطحاوية، ضمن متون طالب العلم (ص ١٦٦).

(٢) تاريخ دمشق (٤٠٤/٥١).

(٣) الأعلام العليّة (ص ٥٤).

٤ - يجب على المسلم أن يحذر من الوقعة في أعراض العلماء، قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمته الله: «لُحُومُ العلماء رحمة الله عليهم مَسْمُومَةٌ، وعادة الله في هَتَكِ أَسْتَارِ مُنْتَقِصِيهِمْ معلومة؛ لأنَّ الوقعة فيهم بما هم منه براء؛ أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزُّور والافتراء مَرْتَعٌ وَخِيمٌ^(١)، والاختلاق على مَنْ اخْتَارَهُ الله منهم لِنَعَشِ العلم^(٢) خُلُقٌ ذَمِيمٌ، والافتداء بما مَدَحَ الله به قول المُتَّبِعِينَ من الاستغفار لِمَنْ سَبَقَهُمْ؛ وصفٌ كريمٌ^(٣)».

٥ - العُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ أولياء الله، قال النووي رحمته الله: «وعن الإمامين الجليلين أبي حنيفة والشافعي رحمتهما الله قالوا: (إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله وليٌّ)»^(٤)، وتوَعَّدَ اللهُ ﷻ مَنْ آذَى أوليائه، قال النَّبِيُّ ﷺ في الحديث القدسي: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنَهُ بِالْحَرْبِ» رواه البخاري^(٥).

٦ - مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي الْعُلَمَاءِ فَقَدْ وَقَعَ فِي ذَنْبٍ عَظِيمٍ، قال الطَّحَاوِيُّ رحمته الله: «وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسَوْءٍ؛ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ»^(٦)، وقال

(١) المَرْتَعُ الوخيم: المَرَعَى الذي لا يُوَافِقُ بَدَنَ الدَّابَّةِ ويكون ثَقِيلاً عَلَيْهَا وإن كانت تُحِبُّهُ. الصحاح (١٢١٦/٣، ١٨٣٩/٥).

(٢) أي: لبقائه وارتفاعه. تهذيب اللغة (٢٧٧/١).

(٣) تبين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري (ص ٢٩).

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٢٩).

(٥) كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) العقيدة الطحاوية، ضمن متون طالب العلم (ص ١٦٦).

الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ: «المُسْتَهْزِئُ بأهل الخير والطَّاعَةِ والعِلْمِ: بعضُ أهل العِلْمِ ذَكَرَ أَنَّهُ يَكُونُ رِدَّةً إِذَا كَانَ هَذَا دَيْدَنَهُ»^(١).

٧ - مَنْ آذَى الْعُلَمَاءَ بِلِسَانِهِ ابْتِلَاهُ اللَّهُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ، قَالَ ابْنُ عَسَاكَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «كُلُّ مَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي الْعُلَمَاءِ بِالثَّلْبِ»^(٢)؛ بَلَاهُ اللَّهُ وَحَقَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ»^(٣).

٨ - مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَحَبَّةٌ لِلْحَدِيثِ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ فَلْيَصْرِفْهَا فِي ذِكْرِ اللَّهِ وَحَقِّهِ، قَالَ ابْنُ عَوْنٍ رَحِمَهُ اللهُ: «ذِكْرُ اللَّهِ دَوَاءٌ، وَذِكْرُ النَّاسِ دَاءٌ»^(٤).

(١) مجموع فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ (١٢/١٩٥).

(٢) الثَّلْبُ: التَّصْرِيحُ بِعَيْبِهِمْ وَتَنْقُصُهُمْ. الصَّحَاحُ (١/٩٤).

(٣) تبين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري (ص ٤٢٥).

(٤) تاريخ الإسلام (٤/١٠١).

احترام الأقران

١ - أعطى الله مَنْ شاء مِنْ خَلْقِهِ قدرات ومواهب - كالحفظ، والفهم، والتصنيف -، ورضا العبد بما قَسَمَهُ الله: من تحقيق ركن الإيمان بالقَدَر، وأحقُّ النَّاسِ بذلك هم أهل العلم.

٢ - كان السَّلَفُ يُعَظِّمُ أَحَدَهُمْ قَرِينَهُ وَيُبَجِّلُهُ، مع سلامة قلبه له، والثناء عليه في غَيْبَتِهِ، فابن كثير وابن القيم رحمهما الله كلاهما قرينان في العلم، وهما من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله، وكلاهما يُحِبُّ الآخر.

قال ابن كثير عن ابن القيم رحمهما الله: «لما عاد الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِائَةٍ لَازَمَهُ - أَي: ابْنُ الْقِيَمِ - إِلَى أَنْ مَاتَ الشَّيْخُ، فَأَخَذَ عَنْهُ عِلْمًا جَمًّا، فَصَارَ فَرِيدًا فِي بَابِهِ فِي فَنُونِ كَثِيرَةٍ، مَعَ كَثْرَةِ الطَّلَبِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالِابْتِهَالِ، وَكَانَ حَسَنَ الْقِرَاءَةِ وَالْخُلُقِ، كَثِيرَ التَّوَدُّدِ، لَا يَحْسُدُ أَحَدًا، وَلَا يُؤْذِيهِ، وَلَا يَسْتَعِيبُهُ^(١)، وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ، وَكَنْتُ مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ لَهُ، وَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ»^(٢).

قال الذهبيُّ عن عبد الله بن محمد المقدسي رحمهما الله - وهما

(١) أي: لا يتَّعَّ عيوبه.

(٢) البداية والنهاية (١٨/٥٣٢).

أقران - : «هو مَمَّنْ أَحَبُّهُ فِي اللَّهِ»^(١).

٣- الانتفاع بالأقران من رجحان العقل ، وهو من أسباب النبوغ ،
قال شمس الدين السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ : «المرء لا يَنْبُلُ حتى يأخذ عَمَّنْ فَوْقَهُ ،
ومثله ، ودونَه»^(٢).



(١) المعجم المختص بالمحدثين (ص ١٢٨).
(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٨/ ١٣).

المَبْحَثُ السَّابِعُ

وَفِيهِ:

١. العَمَلُ بِالْعِلْمِ.

٢. القُدْوَةُ الْحَسَنَةُ.

الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ

١ - الْعَمَلُ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ مَا وُضِعَتْ إِلَّا لِتَهْدِي إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَيْسَ الْعِلْمُ أَنْ تَعْرِفَ الْمَجْهُولَ فَقَطْ؛ وَلَكِنْ أَنْ تَسْتَفِيدَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ.

٢ - الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ يَزِيدُ فِي الْعِلْمِ، وَعَلَى هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ دَرَجَ الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «كُنَّا نَسْتَعِينُ عَلَى حِفْظِ الْحَدِيثِ بِالْعَمَلِ بِهِ»^(١).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ عَمَلَ بِمَا عِلِمَ؛ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾»^(٢).

٣ - ذَمَّ اللَّهُ ﷻ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى عَدَمِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِلْمِ، قَالَ سُبْحَانَهُ عَنْهُمْ: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ بَيْنَتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾، وَذَمَّ النَّصَارَى وَوَصَفَهُمْ بِالضَّلَالَةِ؛ لَجَهْلِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ رَبَّهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

٤ - مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا عِلِمَ حُرِمَ لَذَّةُ الْعِلْمِ وَالْخَشْيَةِ، وَيُوشِكُ أَنْ

(١) اقتضاء العلم العمل (ص ٩٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/١٠).

يَسْلُبُهُ اللَّهُ مَا عَلِمَ، فيكون في عِدَادِ الجاهلين، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ أَعْرَضَ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ الَّذِي يَعْلَمُهُ تَبِعاً لِهَوَاهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يورثه الجهل والضلال، حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾»^(١).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/١٠).

الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ

١ - كُنْ قُدْوَةً صَالِحَةً فِي الْمَجْتَمَعِ، فَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تَأَثَّرُوا بِمَا رَأَوْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

٢ - أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِمَنْ سَبَقَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالصَّبْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

٣ - الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي الْأَفْعَالِ تَوْثُرُ فِي الْآخِرِينَ كَتَأْثِيرِ النَّصِيحَةِ بِالْقَوْلِ أَوْ أَشَدَّ، وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَقْتَدُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا يَرُونَ فِيهِ مِنْ قُدْوَةٍ حَسَنَةٍ لَهُمْ، فَعَنْ كُرَيْبِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ «بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهِيَ خَالَتُهُ - فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا.

فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسَ يَمْسُحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْحَوَاتِمِ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنْ^(١) مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي.

(١) أي: قُرْبَةً بَالِيَةً. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٥٠٥)، القاموس المحيط (١/٦٠٤).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتُلُهَا^(١)، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ.

ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ» متفق عليه^(٢).



(١) أي: يدلّكها. عمدة القاري (٣/ ٦٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب قراءة القرآن بعد الحَدَث وغيره، رقم (١٨٣)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدُّعاء في صلاة اللّيل وقيامه، رقم (٧٦٣).

المَبْحَثُ الثَّامِنُ

وَفِيهِ:

١. تَعْلِيمُ النَّاسِ الْعِلْمَ.
٢. الْإِنْتِفَاعُ بِالْوَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ.

تَعْلِيمُ النَّاسِ الْعِلْمَ

١ - أمر النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُعَلِّمَ الْمَرْءَ غَيْرَهُ مَا تَعَلَّمَهُ، فقال: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**» رواه البخاري^(١)، وليس من شرط تبليغ الدين أن يكون المُبَلِّغُ عالمًا بجميع الشريعة.

٢ - مَنْ حَصَلَ علماً فليُعلِّمَ أهلَ بيته، والأقربين، وعامة الناس، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

٣ - منفعة العلم في البيت وغيره تظهر على الأولاد في صغرهم وكبرهم، قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان السلف يُعلِّمون أولادهم حُبَّ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما يُعلِّمون السورة من القرآن»^(٢).

٤ - مِمَّا يُسْتَحْسَنُ قراءته على الناس في المساجد أو في البيت: «ثلاثة الأصول»، و«كتاب التوحيد»، و«رياض الصالحين»، و«تفسير السعدي»، و«الفُصول في سيرة الرسول ﷺ»، و«الإصابة في تمييز الصحابة».

(١) كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٦١)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/١٣١٣)

٥ - كان والدُ شيخ الإسلام وجدُّه من العلماء، فنشأ شيخُ الإسلام في بيتِ عِلْمٍ ودينٍ؛ وظهر نبوغُه منذ الصَّغَر، ومن أثر تلك النِّشأة: أنَّ شيخَ الإسلام - وعمرُه سبع سنوات - دعا يهودياً إلى الإسلام فأسلم، قال البزَّار رحمته الله: «وُلِدَ - شيخ الإسلام - في حرَّان، في عاشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وست مئة، وبقي بها إلى أن بلغ سبع سنين، ثم انتقل به والده رحمته الله إلى دمشق المحروسة، فنشأ بها أتمَّ إنشاء وأزكاه، وأنبتَه الله أحسن النَّبات وأوفاه، وكانت مَحَايِل النَّجَابَةِ عليه في صغره لائحة^(١)، ودلائل العناية فيه واضحة.

أخبرني مَنْ أَثِقَ به عَمَّن حَدَّثَهُ: أنَّ الشَّيْخَ رحمته الله في حالِ صِغَرِهِ كان إذا أَرَادَ الْمُضِيَّ إِلَى الْمَكْتَبِ^(٢) يَعْتَرِضُهُ يَهُودِيٌّ كان مَنْزِلُهُ بِطَرِيقِهِ بِمَسَائِلٍ يَسْأَلُهُ عَنْهَا، لِمَا كان يُلَوِّحُ عَلَيْهِ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْفِطْنَةِ، وكان يجيبه عنها سريعاً، حتى تعجَّب منه، ثمَّ إِنَّهُ صارَ كُلَّمَا اجْتَازَ بِهِ يُخْبِرُهُ بِأَشْيَاءَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، فلم يَلْبَثْ أَنْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وكان ذلك بِبَرَكَةِ الشَّيْخِ عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ^(٣).

٦ - مَنْ عِلَّمْ غَيْرَهُ نال خيراً عظيماً، قال ابن القيم رحمته الله: «السَّلَفُ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عِلَّمْ وَعَمِلْ وَعَلَّمْ، فذاك يُدْعَى عَظِيماً فِي

(١) أي: أنَّ خيرَ الصِّفَات ظاهرة عليه. المصباح المنير (١/١٨٦، ٢/٩٥٣).

(٢) أي: مكان تعليم الكتابة. تاج العروس (٤/١٠٤).

(٣) الأعلام العلية (ص ١٦).

مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ»^(١)، وقال ابنُ المُبارَك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ولا أعلمُ بعدَ النُّبُوَّةِ درجةَ أفضلَ منِ بَثِّ العِلْمِ»^(٢).

(١) زاد المعاد (٩/٣).

(٢) تهذيب الكمال (٢٠/١٦).

الانتفاع بالوسائل الحديثة

١ - أَقْسَمَ اللَّهُ أَحَدَ عَشَرَ قَسَمًا متواليًا بَأَنِّ مَنْ أَفْسَدَ قَلْبَهُ فَقَدْ خَابَ وَهَلَكَ، وَمَنْ زَكَّى نَفْسَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَقَدْ أَفْلَحَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَهَا * وَالْقَمَرُ إِذَا نَلَّهَا * وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا * وَالَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

٢ - أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ بوسائلِ حَديثَةٍ يَسَّرَتْ لَهُمُ الْعِلْمَ، وَكُلُّ نِعْمَةٍ يُنْعِمُ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ يَنْقَسِمُ فِيهَا الْعِبَادُ إِلَى شَاكِرٍ وَكَافِرٍ، قَالَ سُبْحَانَهُ عَنْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

٣ - أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَأَنِّ قَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِذَا نَزَلَتْ إِلَى الْأَرْضِ، فَمِنْ الْعِبَادِ مَنْ يَزِيدُ إِيمَانَهُ بِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ تُبْعِدُهُ عَنِ اللَّهِ، قَالَ زَيْدُ بْنُ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ^(١) كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: أَضَيَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ:

فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكُؤُوبِ.

(١) أي: عَقِبَ مَطَرٍ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٤٠٦).

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ^(١) كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكِبِ»
متفق عليه^(٢).

فإذا كان الناس يُفْتَنُونَ في إيمانهم بالمطر، فالوسائلُ الحديثةُ من باب أولى قد يفتن بها الإنسان.

٤ - الوسائلُ الحديثةُ من الشبكات الإلكترونية ونحوها يتخذها المسلم لتقويم نفسه وإصلاح غيره، ولا يجعلها ملهاةً قاتلةً لزمّنه، مُضَيِّعةً لأوقاته، مُلوّثةً لأفكاره، مُفسِدةً لمعتقداته.

٥ - إذا رأى المرءُ من الوسائلِ الحديثةِ شيئاً لا يُحَمَدُ، فليبتعد عنها، فالتعرّضُ لمواطنِ الفتن والشبهات والمُحرّماتِ من أسباب الوقوع فيها، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا تعرّض العبدُ بنفسه إلى البلاء؛ وَكَلَهُ اللهُ إلى نفسه^(٣)»^(٤).



(١) أي: بنجم. فتح الباري (١/١٩٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلّم، رقم (٨٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كُفْر مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِالنُّوءِ، رقم (٧١).

(٣) فلا يمكن للعبد أن يقوم بأمرٍ نفسه، ولم يُعَنْ عليها.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/٥٧٧).

المَبْحَثُ التَّاسِعُ

وَفِيهِ:

١. الْحَذَرُ مِنَ الْفِتَنِ.
٢. الْبُعْدُ عَنِ الْمَعَاصِي.

الْحَذَرُ مِنَ الْفِتَنِ

١ - الفتن كثيرة، شَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ كثرتها بقطرات المطر، قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ» متفق عليه^(١).

٢ - الْفِتْنُ مِنْهَا كِبَارٌ، وَمِنْهَا صَغَارٌ، قال النَّبِيُّ ﷺ: «وَمِنْهُنَّ فِتْنٌ كَرِيحِ الصَّيْفِ، مِنْهَا صَغَارٌ، وَمِنْهَا كِبَارٌ» رواه مسلم^(٢).

ومنها ما يَمْوجُ كَمْوَجِ الْبَحْرِ، قال حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، وَكَيْفَ قَالَ؟ قَالَ: قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكْفِرُهَا الصِّيَامُ، وَالصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمْوِجُ كَمْوِجِ الْبَحْرِ» متفق عليه^(٣).

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب أطام المدينة، رقم (١٨٧٨)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، رقم (٢٨٨٥)، من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب إخبار النَّبِيِّ ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم (٢٨٩١)، من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، رقم (٥٢٥)، ومسلم، كتاب =

٣ - تُعَرِّضُ الْفِتْنَ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ ^(١) عُوْدًا عُوْدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تُعَرِّضُ الْفِتْنَ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نَكَتَ ^(٢) فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكَتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ؛ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا ^(٣) فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا ^(٤) كَالْكُوزِ ^(٥) مُجْحِيًا ^(٦) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ» رواه مسلم ^(٧).

والمراد: كما أَنَّ الْحَصِيرَ يجتمع من الأعواد واحداً واحداً، فكذلك الْفِتْنُ تُعَرِّضُ عَلَى الْقُلُوبِ واحدةً بعد واحدة، حَتَّى تَغْطِيَ الْفِتْنُ جَمِيعَ الْقَلْبِ وتَسْوَدُّه، فإذا اجتمعت في الْقَلْبِ نُكْتٌ كَثِيرَةٌ صار الْقَلْبُ أَسْوَدَ مَظْلَمًا، فحينئذٍ لَا يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ؛ لانعدام نور الْقَلْبِ.

٤ - نهى الإسلام عن التَّعَرُّضِ لِلْفِتَنِ، ويوسف ﷺ هَرَبَ مِنَ الْفِتَنِ وَ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتَّعَرُّضُ لِلْفِتْنَةِ هُوَ مِنَ الذُّنُوبِ» ^(٨).

= الإيمان، باب بيان أَنَّ الْإِسْلَامَ بدأ غريباً، وسيعود غريباً، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، رقم (١٤٤).

(١) الْحَصِيرُ: بِسَاطٍ يُصْنَعُ مِنْ سَعَفِ النَّخِيلِ وَنَحْوِهِ. لسان العرب (٢٥٨/٤).

(٢) النَّكَتُ: النُّقْطَةُ فِي الشَّيْءِ تَخَالَفَ لَوْنِهِ. المعجم الوسيط (٩٥٠/٢).

(٣) الصَّفَا: الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ الَّذِي لَا يَلْقَى بِهِ شَيْءٌ. شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٢/٢).

(٤) أَي: صار كلونِ الرَّمَادِ، مِنَ الرُّبْدَةِ؛ لَوْنٌ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْغُبَرَةِ. مرقاة المفاتيح (٣٣٧٨/٨).

(٥) الْكُوزُ: مَا اتَّسَعَ رَأْسُهُ مِنْ أَوَانِي الشَّرَابِ إِذَا كَانَتْ بِعُرَى وَأَذَانٍ. مشارق الأنوار (٣٤٩/١).

(٦) أَي: مائلاً مُنْكَوساً. مرقاة المفاتيح (٣٣٧٨/٨).

(٧) كتاب الإيمان، باب بيان أَنَّ الْإِسْلَامَ بدأ غريباً، وسيعود غريباً، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ،

رقم (١٤٤) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٨) الآداب الشرعية (٤٦٢/٣).

٥ - مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْفِتَنِ لَمْ يَخْلُصْ مِنْهَا، وَمَنْ تَطَّلَعَ إِلَيْهَا أَخَذَتْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ»^(١) متفق عليه^(٢).

٦ - نَصِيحَةُ الْعُلَمَاءِ الْبُعْدُ عَنِ الْفِتَنِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ لِي شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ جَعَلْتُ أُورِدُ عَلَيْهِ إِيرَاداً بَعْدَ إِيرَادٍ: لَا تَجْعَلْ قَلْبَكَ لِلإِيرَادَاتِ وَالشُّبُهَاتِ مِثْلَ السِّفْنَجَةِ»^(٣)، فَيَتَشَرَّبُهَا فَلَا يَنْضِحُ^(٤) إِلَّا بِهَا، وَلَكِنْ اجْعَلْهُ كَالزُّجَاجَةِ الْمُضْمَتَةِ^(٥) تَمُرُّ الشُّبُهَاتُ بِظَاهِرِهَا وَلَا تَسْتَقِرُّ فِيهَا، فِيرَاهَا بِصَفَائِهَا، وَيُدْفَعُهَا بِصَلَابَتِهِ، وَإِلَّا فَإِذَا أَشْرَبَتْ قَلْبَكَ كُلَّ شَبْهَةٍ تَمُرُّ عَلَيْهِ صَارَ مَقْرَأً لِلشُّبُهَاتِ، أَوْ كَمَا قَالَ، فَمَا أَعْلَمُ أَنِّي انْتَفَعْتُ بِوَصِيَّةٍ فِي دَفْعِ الشُّبُهَاتِ كَانْتِفَاعِي بِذَلِكَ»^(٦).

٧ - الْعِصْمَةُ مِنَ الْفِتَنِ تَكُونُ:

أ. بِالذِّعَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلصَّحَابَةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ» رواه مسلم^(٧).

ب. بِالْبُعْدِ عَنِ الْفِتَنِ وَإِعْلَاقِ أَيِّ سَبِيلٍ تَصِلُ مِنْهُ إِلَيْكَ.

ج. بِمَلْءِ الْوَقْتِ بِمَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ.

(١) أي: مَنْ قَرَّبَ مِنَ الْفِتَنِ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَوَقَعَ فِيهَا. مِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ (٨/ ٣٣٨٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦٠١)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، رقم (٢٨٨٦)، من حديث أبي هريرة رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

(٣) أي: الإسفنجة المعروفة التي تتشرب الماء. (٤) أي: فلا يرتوي. تاج العروس (٧/ ١٨٠).

(٥) الْمُضْمَتَةُ: غير المجوفة؛ فهي لا يدخلها شيء. (٦) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

(٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عَرْضُ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ، رقم (٢٨٦٧)، من حديث زيد بن ثابت رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

البُعدُ عن المعاصي

١ - تَشْرَفُ النُّفُوسُ وَتَعْظُمُ بطاعة الله، وَتَصْغُرُ بمعصية الله، فصاحبُ المعصية ذليل، والمهانةُ محيطةٌ به وإن تظاهر بالعزة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾، وقال النبي ﷺ: «وَجُعِلَتِ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» رواه أحمد^(١)، قال الحسن البصري رحمه الله: «أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ»^(٢).

٢ - ما في الدنيا من شرٍّ وداءٍ إِلَّا وسببه الذُّنُوبُ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، قال ابن القيم رحمه الله: «فمما ينبغي أن يعلم أنَّ الذُّنُوبَ تَضُرُّ ولا بد، وأنَّ ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر»^(٣).

٣ - كُلَّمَا صَغُرَ الذَّنْبُ فِي عَيْنِ الْعَبْدِ عَظُمَ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهِنَّ إِذَا اجْتَمَعْنَ عَلَى الرَّجُلِ أَهْلَكْنَهُ، قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنٍ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بُعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بُعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْرَتَهُمْ» رواه أحمد^(٤).

وقال أنس رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ

(١) في المسند، رقم (٥١١٤).

(٢) تاريخ الطبري (١١/٦٣٨).

(٣) الجواب الكافي (ص ٩٨).

(٤) في المسند، رقم (٢٢٨٠٨).

الشَّعَرِ، إِنَّ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ» رواه البخاري (١).

٤ - الذَّنْبُ ليس مقتصرًا على فعل المعصية فحسب، بل إنَّ التَّقْصِيرَ في أداء الواجب من جملة المآثم، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «والمعاصي فَرَعَان: تَرْكُ واجب، وفِعْلُ محَرَّم، فَمَنْ تَرَكَ أداء الواجب مع القدرة عليه فهو عاصٍ» (٢).

وَمَنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ بِالطَّاعَةِ، تَأَخَّرَ بِالتَّقْصِيرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

٥ - المعاصي تُزِيلُ نُورَ الْقَلْبِ وَبَرَكََةَ الْعِلْمِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثِمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْآثِمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ لِلْسَّيِّئَةِ ظِلْمَةً فِي الْقَلْبِ، وَسَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَوَهْنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضًا فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ» (٣).

٦ - أَثَرُ الذُّنُوبِ قَدْ يَظْهَرُ عَلَى مَنْ تَحْتَ يَدِ الْعَاصِي، قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنِّي لِأَعْصِي اللَّهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلُقِ حِمَارِي وَخَادِمِي» (٤).

٧ - الْعَاصِي يَتَأَذَّى مِنْهُ الشَّجَرُ وَالِدَّوَابُّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالِدَّوَابُّ» متفق عليه (٥).

(١) كتاب الرِّقَاق، باب مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، رَقْم (٦٤٩٢).

(٢) مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَام (٣٩/٣٠). (٣) مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَام (٢٨٢/١٥).

(٤) حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ (١٠٩/١).

(٥) رواه البخاري، كتاب الرِّقَاق، باب سَكْرَاتِ الْمَوْتِ، رَقْم (٦٥١٢)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ

الْجَنَائِزِ، باب مَا جَاءَ فِي مُسْتَرِيحٍ وَمُسْتَرَاكِ مِنْهُ، رَقْم (٩٥٠)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رُبَيْعٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٨ - تَوَهَّم بعض النَّاس في أَمْرِ الذَّنْب؛ إذ لم يَرَوْا تأثيرَه في الحال، فقد يتأخَّر تأثيرُه، وينسون أَنَّهُ من أثر الذَّنْب، قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

٩ - مِنْ عقوبة المعصية: نسيانُ العلم، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا قيل: إِنَّ مِنْ ثوابِ الحسنةِ الحسنةَ بعدها، وَإِنَّ مِنْ عقوبةِ السيئةِ السيئةَ بعدها.

وكذلك العمل السيئ - مثل الكذب مثلاً - يعاقب صاحبه في الحال بظلمةٍ في القلب، وقسوةٍ وضيقٍ في صدره، ونفاقٍ، واضطرابٍ، ونسيانٍ ما تعلمه، وانسدادٍ بابِ علمٍ كان يطلبه»^(١).

بل وقد يُحرم من العلم، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وللمعاصي من الآثارِ القبيحةِ المذمومةِ، منها حرمانُ العلم؛ فَإِنَّ العلمَ نورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ في القلب، والمعصية تُظْفِي ذلك النور.

ولمَّا جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك، وقرأ عليه، أَعْجَبَهُ ما رَأَى من وُفُور^(٢) فِطْئِهِ، وتوقَّد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: (إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تُظْفِئْهُ بظلمةِ المعصية)»^(٣).

١٠ - مَنْ ترك ذنباً خوفاً من الله، عَوَّضَهُ اللَّهُ خيراً كثيراً، قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا الْإِخْلَاصَ وَالْأَدَبَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٩٦/٨).

(٢) أي: تمام.

(٣) الجواب الكافي (ص ١٣٢).

فَهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

٥	 الْمُقَدِّمَةُ
٧	 خُطَّةُ الْكِتَابِ
١١	 الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: أَهْمِيَّةُ الْعِلْمِ وَفَضْلُهُ؛ وَفِيهِ مَبْحَثَانِ:
١٢	 الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: أَهْمِيَّةُ الْعِلْمِ
١٥	 الْمَبْحَثُ الثَّانِي: فَضْلُ الْعِلْمِ
١٩	 الْفَصْلُ الثَّانِي: آدَابُ طَالِبِ الْعِلْمِ؛ وَفِيهِ تِسْعَةُ مَبَاحِثَ:
٢١	 الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ؛ وَفِيهِ
٢٢	 ١. الْإِخْلَاصُ
٢٤	 ٢. الْخَوْفُ مِنَ الرِّيَاءِ
٢٥	 ٣. اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ
٢٧	 الْمَبْحَثُ الثَّانِي؛ وَفِيهِ
٢٨	 ١. الدُّعَاءُ
٣٠	 ٢. نَوَافِلُ الْعِبَادَاتِ
٣٢	 ٣. قِيَامُ اللَّيْلِ
٣٤	 ٤. ذِكْرُ اللَّهِ

- ٣٦ ٥. التَّوْبَةُ
- ٣٩ ٦. الْإِسْتِغْفَارُ
- ٤١ الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ ؛ وَفِيهِ
- ٤٢ ١. بَرُّ الْوَالِدَيْنِ
- ٤٤ ٢. صَلََةُ الرَّحِمِ
- ٤٦ ٣. قَضَاءُ حَاجَاتِ النَّاسِ
- ٤٩ الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ ؛ وَفِيهِ
- ٥٠ ١. حُسْنُ الْخُلُقِ
- ٥١ ٢. الصَّدَقُ
- ٥٣ ٣. سَلَامَةُ الصَّدْرِ
- ٥٧ الْمَبْحَثُ الْخَامِسُ ؛ وَفِيهِ
- ٥٨ ١. الْحِرْصُ عَلَى الْوَقْتِ
- ٦٠ ٢. الصَّبْرُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
- ٦٤ ٣. الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ
- ٦٩ الْمَبْحَثُ السَّادِسُ ؛ وَفِيهِ :
- ٧٠ ١. حُضُورُ دُرُوسِ الْعُلَمَاءِ
- ٧٤ ٢. الْإِكْتِنَارُ مِنَ الشُّيُوخِ
- ٧٦ ٣. اخْتِرَامُ الْعُلَمَاءِ
- ٧٩ ٤. اخْتِرَامُ الْأَقْرَانِ

٨١		المَبْحَثُ السَّابِعُ ؛ وَفِيهِ
٨٢		١. العَمَلُ بِالْعِلْمِ
٨٤		٢. القُدْوَةُ الحَسَنَةُ
٨٧		المَبْحَثُ الثَّامِنُ ؛ وَفِيهِ :
٨٨		١. تَعْلِيمُ النَّاسِ الْعِلْمَ
٩١		٢. الْإِنْتِفَاعُ بِالْوَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ
٩٣		المَبْحَثُ التَّاسِعُ ؛ وَفِيهِ
٩٤		١. الحَذَرُ مِنَ الْفِتَنِ
٩٧		٢. الْبُعْدُ عَنِ الْمَعَاصِي
١٠١		فَهْرُسُ الْمُؤَصُّوعَاتِ



صَدْرُ الْمُؤَلَّفِ

مَهْوَطُ الْأَبْلِغَاءِ

- ❖ أَسْهَلُ طَرِيقَةٍ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ.
- ❖ التَّحْذِيرُ مِنَ التَّكَلُّفِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.
- ❖ صِحَّةُ الْإِجَازَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَنْ بَعْدِ.
- ❖ تَحْقِيقُ نَزْهِةِ النَّظَرِ فِي تَوْضِيحِ نُحْبَةِ الْفِكْرِ.
- ❖ تَحْقِيقُ سُرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؑ.
- ❖ أَحَادِيثُ الدَّجَالِ وَتَوْضِيحُهَا بِالْخَرَائِطِ الْمُعَاصِرَةِ.
- ❖ تَبْسِيرُ الْوُصُولِ سُرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ.
- ❖ تَحْقِيقُ سُرْحِ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؑ.
- ❖ تَحْقِيقُ سُرْحِ كَشْفِ الشُّبُهَاتِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؑ.
- ❖ تَحْقِيقُ سُرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؑ (٣) مُجَلَّدَاتٍ.
- ❖ تَحْقِيقُ سُرْحِ الْوَاسِطِيَّةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؑ.
- ❖ الْقَوَاعِدُ الْوَاضِحَاتُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.
- ❖ تَحْقِيقُ كِتَابِ: (أَلْ رُسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَوْلِيَائِهِ) لِلْوَالِدِ ؑ.
- ❖ كَيْفِيَّةُ حَلِّ السُّحْرِ.
- ❖ تَحْقِيقُ سُرْحِ آدَابِ الْمَشِيِّ إِلَى الصَّلَاةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؑ.
- ❖ تَحْقِيقُ سُرْحِ شُرُوطِ الصَّلَاةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؑ.
- ❖ الْمَسْبُوكُ عَلَى مِئْخَةِ السُّلُوكِ (٤) مُجَلَّدَاتٍ.
- ❖ حُدُ السَّرِقَةِ - دَرَأَسَةٌ فِقْهِيَّةٌ مُقَارَنَةٌ -.
- ❖ الْوَصِيَّةُ وَالْوَقْفُ - طَرِيقَةٌ عَمَلِيَّةٌ لِكِتَابَتِهِمَا -.
- ❖ آدَابُ الدُّعَاءِ وَجَوَامِعُهُ.
- ❖ تَحْقِيقُ الْمَكَايِلِ وَالْأَوْزَانِ الشَّرْعِيَّةِ.
- ❖ تَحْقِيقُ الْأَطْوَالِ الشَّرْعِيَّةِ.
- ❖ فَضَائِلُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ.
- ❖ الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ - الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ، الْحُجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ -.
- ❖ تَحْقِيقُ كِتَابِ: (أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ) لِلْوَالِدِ ؑ.
- ❖ الْخُطْبُ الْمُنِيرِيَّةُ (٤) مُجَلَّدَاتٍ.
- ❖ تَحْقِيقُ كِتَابِ: (مَوْضُوعَاتُ صَالِحَةٍ لِلْخُطْبِ) لِلْوَالِدِ ؑ.
- ❖ خُطُوبَاتُ إِلَى السَّعَادَةِ.
- ❖ طَرِيقَةُ لِتَرْكِ التَّدخينِ.
- ❖ الْقَاعِدَةُ الْمَدِينِيَّةُ - تَعْلِيمُ الْقِرَاءَةِ لِلْمُبْدِئِينَ -.
- ❖ الْقَاعِدَةُ الْمَدِينِيَّةُ - تَعْلِيمُ الْكِتَابَةِ لِلْمُبْدِئِينَ -.

- ❖ الْأَذْكُرُ وَالْأَذْكَبُ.
- ❖ مُخْتَصَرُ الْأَذْكُرِ وَالْأَذْكَبِ.
- ❖ الْأُصُولُ الْفَارِسِيَّةُ.
- ❖ الْقَوَاعِدُ الْأَرْبَعُ.
- ❖ نَوَاقِصُ الْإِسْلَامِ.
- ❖ الْأَرْبَعُونَ النَّوَوِيَّةُ.
- ❖ ثُخْفَةُ الْأَطْفَالِ.
- ❖ شُرُوطُ الصَّلَاةِ.
- ❖ كِتَابُ التَّوْحِيدِ.
- ❖ مَنَظُومَةُ السَّيْفُونِي.
- ❖ مَنَظُومَةُ الْإِلْيَاسِي.
- ❖ لَلْقَدَمَةُ الْأَجْمُومِيَّةُ.
- ❖ الْعَقِيدَةُ الْوَاسِطِيَّةُ.
- ❖ أَلُورَقَاتُ.
- ❖ غَوَانُ أَحْكَمِ.
- ❖ مَنَظُومَةُ الْحَاجِيَّةِ.
- ❖ الْعَقِيدَةُ الْفَلَحَاوِيَّةُ.
- ❖ بُلُوغُ الْمَرَامِ.
- ❖ زَادُ الْمُسْتَفْعِ.
- ❖ أَلْفِيَّةُ ابْنِ مَالِكٍ.
- ❖ الْأَجْمَعُ لِأَبِي الصَّخْرِي.
- ❖ أَفْرَادُ الْبَحَارِيِّ.
- ❖ أَفْرَادُ مُنْتَهَى.
- ❖ الْأَوَّلِيُّ عَلَى الصَّخْرِي.
- ❖ الشَّيْطَانِيَّةُ.
- ❖ الْحَزْرِيَّةُ.
- ❖ مُقَدِّمَةٌ فِي أُصُولِ الْقَسْبِ.
- ❖ نُحْبَةُ الْفِكْرِ.
- ❖ أَلْفِيَّةُ الْعِرَاقِي فِي الْمَصْطَلَحِ.
- ❖ أَلْفِيَّةُ الشَّيْخُوطنِي فِي الْمَصْطَلَحِ.
- ❖ الْفَتَاةُ فِي الْأَحْكَامِ.
- ❖ الْمُحَرَّرُ فِي الْحَدِيثِ.
- ❖ كَشْفُ الشُّبُهَاتِ.
- ❖ ثُخْفَةُ لِلْمُلُوكِ فِي الْفِقْهِ الْحَنْفِيِّ.
- ❖ الْأَنْجُوزَةُ لِلْمِيَّةِ فِي السِّيَرَةِ.
- ❖ أَلْفِيَّةُ الْعِرَاقِي فِي السِّيَرَةِ.
- ❖ لَأَوِيَّةُ الْأَفْعَالِ.

الْمَثُورُ الْإِضَافِيَّةُ